جـامعة الجيـــلالي بونـعامة –خـــــميس مليانة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية –شعبة التاريخ

الحياة الثقافية في حاضرة تمبكتو خلال القرن 10هـ-16م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

من إعداد الطالبتين

- فاطمة الزهراء طيبوني
- كنزة بن ميرة زيتوني

إشراف الأستاذ:

د. إبراهيم بتقة

السنة الجامعية:

1440-1441هـ/2019-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتستجاب الدعوات وتحقق الرغبات، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

أما بعد، نتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الدكتور **إبراهيم بتقة **الذي كان لنا خير معين في إنجاز هذه الرسالة منذ أن كانت فكرة إلى أن صارت ثمرة، فجزاه الله عنا أحسن الجزاء وأوفى العطاء.

كما نتوجه بالشكر الجزيل لمن أضاءوا قناديل العلم والمعرفة في قلوبنا، فشكرا لرموز التضحية والعطاء، شكرا لآبائنا وأمهاتنا ولهم كل الحب والتقدير.

كما نتقدم بالشكر إلى كل من قدم لنا يد العون والمساعدة في أي مرحلة من مراحل هذا العمل، فجزاهم الله كل خير.

3DLAT.COM

إهداء

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة
و أعاننا على آداء هذا الواجب، ووفقنا في إنجازه.

أقدم هذا العمل المتواضع

إلى أول من تلفظ لساني بإسمها فنبض قلبي، إلى التي أعطتني الأمل الذي أعيش له، إلى التي وهبت حياتها لنا فأنارت لنا السبيل وكانت لنا المثل الأعلى، إلى التي لو هديتها حياتي لن تكفي في حقها،
أمي الحبيبة حفظها الله لنا

إلى من سعى وشقى لأنعم بالراحة والهناء، إلى الذي لا مثيل له كان وسيكون من سيعيش في أعماقي وكان وراء كل خطوة خطوتها في طريق العلم إلى من علمني مبادئ الحياة،
أبي العزيز حفظه الله لنا.

إلى بلسم روحي وحياتي، إلى من هم مصدر سعادتي ومخزن ذكرياتي، إخوتي محمد، نادية، عبد الرحمان.

إلى من سرنا سويا ونحن نشق الطريق معا نحو النجاح إلى جميع صديقاتي.

إلى من علموني حروفا من ذهب وكلمات من درر إلى أساتذتي الكرام.

أهدي لكم هذا العمل المتواضع راجية من المولى عز وجل أن يجد القبول والنجاح.

فاطمة الزهراء✍

إهداء

لا يطيب الكلام إلا بذكر الله ولا يصفو المقام إلا بالصلاة والسلام على منبر الأنام

أهدي عملي هذا إلى نور عيني وروح قلبي ونبع الحنان
ومن أوصى الرحمان ببرها ووضع الجنة تحت أقدامها إلى أمي ثم أمي ثم أمي
حفظها الله وأطال عمرها

إلى أروع أب في الدنيا إلى من كان سندا لي ومرشدي وقدوتي إلى من تكبد الصعاب لإسعادي وقدم لي كلما أحتاجه دون ملل أسأل الله أن يلبسك ثوب الصحة ودوام العافية ودمت شمعة بيتنا تضيئه بوجودك أبي الغالي

إلى كل أفراد عائلتي الصغيرة والكبيرة كل بإسمه، إلى الذين وقفوا معي دعما وسندا حتى أكملت دراستي إلى إخوتي وأخواتي

إلى جميع صديقاتي وزميلاتي من قريب أو بعيد

إلى جميع الأساتذة الأكارم على اختلاف تخصصاتهم من الإبتدائي إلى الجامعي

أهدي لكم عملي

كنزة ✍

قائمة المختصرات:

- ج: الجزء
- مج: المجلد
- ط: الطبعة
- ص: الصفحة
- ص ص: صفحتان
- هـ: هجري
- م: الميلادي
- ت: توفي
- ع: العدد
- تح: تحقيق
- تر: ترجمة
- تق: تقديم
- / : الحد الفاصل بين التاريخ الهجري والميلادي

- Ed. : Edition
- P. : page
- T. :Tome
- V. :Volume

مقـــــدمة

لقد أدى إنتشار الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في غرب القارة الإفريقية إلى نشوء مراكز ثقافية لعبت دورا كبيرا في تطور الحياة الحضارية في الغرب الإفريقي. ومن بين هذه المراكز نجد حاضرة "تمبكتو"، التي تميزت بشهرة عظيمة ومكانة خاصة في نفوس أبناء إفريقيا عامة على مر العصور، إذ كان تاريخها حافلا بالإسهامات الثقافية والحضارية المتميزة في المنطقة.

ويعود إزدهار تمبكتو الثقافي إلى هجرة الكثير من العلماء إليها وهذا بتشجيع من ملوكها وخاصة ملوك مملكة سنغاي الإسلامية، الأسكيا محمد والأسكيا داوود، إذ عملوا على تكريم العلماء والصلحاء القادمين إليها، فإنتشرت بها المساجد التي أصبحت فيما بعد معاهد للدراسات العليا وفي مقدمتها جامع " سنكري"، وظهرت المدارس ونظام الكتاتيب، وإزدهرت تجارة الكتب، فظهرت المكتبات العامة والخاصة. فحرص الملوك على تشجيع رحلات الحج والرحلات العلمية لعلماء وطلاب تمبكتو، في حين أصبحت هذه الأخيرة قبلة للعديد من العلماء والفقهاء من شتى أنحاء العالم الإسلامي للتدريس والقضاء. وهذا ما مكنها من أداء دورها في نشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا. ومن هذا المنطلق كان إختيارنا لموضوع **الحياة الثقافية في حاضرة تمبكتو خلال القرن 10هـ-16م.**

وتكمن أهمية البحث في محاولة تسليط الضوء على الكم العلمي والمعرفي الذي وصل إليه السودانيين خلال القرن 10هـ-16م، وإبراز مدى إصطباغ مظاهر حياة الشعوب الإفريقية بالثقافة العربية الإسلامية التي إنتقلت إليها عبر الفئات الوافدة، وما حققته من إزدهار في جميع المجالات.

وكانت من جملة الأسباب التي دفعتنا لإختيار الموضوع، هو الرغبة في الإطلاع على التراث الثقافي الذي كانت تزخر به مدينة تمبكتو، ومعرفة مدى إنتشار الإسلام والثقافة العربية في المدينة بصفة خاصة وبلاد السودان الغربي بصفة عامة. كذلك إبراز عوامل الإزدهار الثقافي لمدينة تمبكتو والدورالذي لعبته في إغناء الرصيد العلمي في غرب إفريقيا، أيضا التعريف بأبرز علمائها وفقهائها.

ومن خلال عنوان هذه الرسالة، ونظرا لبروز حاضرة تمبكتو كمركز مهم من مراكز التحصيل العلمي ونشر المعرفة في غرب إفريقيا، وكونها موطن الثقافة العربية الإسلامية في تلك الربوع، جعلنا نطرح الإشكالية التالية : **فيما تمثلت عوامل الإزدهار الثقافي في حاضرة تمبكتو؟ وماهي مظاهر هذا الإزدهار؟**

لتتفرع عنها عدة تساؤلات:

-كيف كانت الحياة العلمية في هذه المدينة؟ وما أبرز مؤسساتها التعليمية؟

-بما تميزت علاقاتها مع دول العالم العربي الإسلامي شمال القارة الإفريقية؟

أما المنهج المتبع فهو المنهج التاريخي الوصفي الذي يفيد في تتبع الأحداث التاريخية التي كان لها تأثير مباشر على الإزدهار الثقافي لتمبكتو، كذلك يفيد في وصف الموقع الجغرافي للمدينة وأهميته في تحقيق التواصل الإقتصادي والثقافي مع شمال إفريقيا.

كما أننا إعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على خطة بحث تتكون من مقدمة، ثلاث فصول، خاتمة.

تناولنا في الفصل الأول الأوضاع العامة لحاضرة تمبكتو خلال القرن 10هـ-16م، فتكلمنا فيه عن موقع مدينة تمبكتو وأصل تسميتها، مع ذكر نشأتها ومراحل تطورها. كما إستعرضنا في هذا الفصل مظاهر إنتشار الإسلام في مدينة تمبكتو والمتمثلة في إنتشار المذهب المالكي وشيوع اللغة العربية.

وجاء في الفصل الثاني أهم المؤسسات الثقافية والعلمية لمدينة تمبكتو والمتمثلة في المساجد وأبرزها الجامع الكبير، مسجد سنكري، ومسجد سيدي يحي وآخرون. كما ذكرنا الكتاتيب ومراحل التعليم وأهم المدارس والمكتبات المشهورة في المدينة. مع الأخذ بعين الإعتبار أهم العلوم النقلية والعقلية المتداولة في هذه المؤسسات الثقافية.

أما الفصل الثالث فذكرنا فيه صور التلاقح الحضاري بين مدينة تمبكتو ودول العالم العربي الإسلامي، فتطرقنا إلى رحلات الحج المشهورة لملوك وعلماء المدينة، بالإضافة إلى الرحلات العلمية من وإلى تمبكتو، مع ذكر أهم العلماء المرتحلون والوافدون. وقد تكلمنا عن

منصب القضاء وأهم القضاة والمؤرخين المشهورين في المدينة، بالإضافة إلى ذكر آثار الثقافة العربية الإسلامية على الجوانب الحضارية في تمبكتو خلال القرن 10هـ-16م.

أما الخاتمة فقد تناولنا فيها أهم نتائج البحث، مجيبين على الإستفسارات والتساؤلات المطروحة في الرسالة.

وفيما يخص أهم المصادر والمراجع التي أفادتنا في هذا الموضوع، فنجد مصادر المؤرخين السودانيين ومنها كتاب "تاريخ الفتاش" لمحمود كعت، كذلك كتابي العلامة أحمد بابا التمبكتي بعنوان "نيل الإبتهاج بتطريز الديباج"، و"كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج"، كما إعتمدنا على كتاب "تاريخ السودان" لعبد الرحمان السعدي. أيضا إعتمدنا على مصادر الرحالة من خلال كتاب إبن بطوطة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وغرائب الأسفار"، وكذلك كتاب الحسن الوزان وعنوانه "وصف إفريقيا". أما عن أبرز المراجع المطبوعة المعتمدة في هذا البحث فمنها كتب الهادي مبروك الدالي بعنوان " التاريخ الحضاري لإفريقيا ما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر"، و" التاريخ السياسي والإقتصادي لإفريقيا ما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر "، أيضا إعتمدنا على مؤلفات عبد القادر زبادية ومنها " مملكة سنغاي في عهد الأسقيين"، وكتاب مطير سعد غيث بعنوان " الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي".

ومن بين الدراسات الأكاديمية السابقة التي تناولت الموضوع وجدنا:

-**الدور الحضاري لمدينة تمبكتو خلال القرنين (9-10هـ/15-16م)**، وهي مذكرة ماستر، غير أننا إعتمدنا في موضوعنا على إبراز أوجه الإزدهار الثقافي لمدينة تمبكتو، ومدى مساهمة علمائها ومؤسساتها العلمية في تحقيق هذا الإزدهار.

-**الجاليات المغاربية في مدينة تمبكتو في عهد مملكتي مالي وسنغاي بين القرنين (5هـ-10هـ/11م-16م)**، وهي مذكرة ماستر أيضا، غير أننا ركزنا في دراستنا على القرن 10هـ-16م، كما تطرقنا إلى إنتشار الإسلام والثقافة العربية في جميع المجالات.

وقد واجهتنا بعض الصعوبات في إنجاز هذه المذكرة منها صعوبة الترجمة من المراجع الأجنبية، وصعوبة أخذ المادة العلمية من المصادر، كذلك إستحالة الحصول على الكتب ورقيا، وذلك راجع إلى غلق المكتبات نظرا للوضع الراهن الذي يعيشه العالم من تفشي وباء كوفيد19.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نقدم شكرنا وإمتناننا للأستاذ المشرف **إبراهيم بتقة**، الذي لم يبخل عنا بتوجيهاته ونصائحه طول فترة البحث، فله منا خالص التقدير والإحترام.

كما نتمنى من الله عز وجل أن نكون قد وفقنا في بحثنا، وألممنا بكل جوانب الموضوع. ونسأل الله السداد وأن يوفقنا لكل ما فيه الخير.

الفصل الأول:

الأوضاع العامة في حاضرة تمبكتو خلال القرن 10 هـ-16 م

الفصل الأول : الأوضاع العامة في حاضرة تمبكتو خلال القرن 16م-10هـ.

تمهيد:

إقترن تاريخ الحياة الثقافية في السودان الغربي بمدينة تمبكتو التي كانت بصدق قلب الحركة الفكرية النشطة في المنطقة، والتي إمتد إشعاعها العلمي إلى أرجاء واسعة عمت كامل منطقة السودان الأوسط والغربي من "الكانم" و"حوض النيجر" إلى منطقة الفوتاجالون والفوتاتورو. فمكانتها الروحية جعلتها عاصمة للبلاد حيث إزدهرت فيها الثقافة والتجارة وتبوأت مكانتها العلمية والثقافية والدينية.

فقد صارت هذه المدينة ملتقى للزهاد والصالحين فضلا عن أنها أصبحت محط أنظار التجار ورجال العلم والثقافة من سكان شمال إفريقيا والأقطار الإسلامية، وكل هذا راجع إلى موقعها الإستراتيجي الهام الذي ساعد على تحقيق التطور الحضاري للمدينة.

فنجد أن العديد من المؤرخين والكتاب الذين كتبوا عنها إنعكست في كتاباتهم مشاعر الإفتخار بالإنتساب إليها، فصاحب تاريخ الفتاش يؤكد ذلك بقوله : "التنبكتي مسكنا الوعكري أصلا..."[1] تاريخ السودان يقول عنها: "هذه البلدة الطيبة الطاهرة الزكية الفاخرة ذات بركة ونجعة وحركة هي مسقط رأسي، وبغية نفسي، ما دنستها عبادة الأوثان، ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمان، مأوى العلماء والعابدين ومألف الأولياء والزاهدين...".[2] ووصفها صاحب السعادة الأبدية بقوله : " فهي مدينة لا تزل من حين أسست دار فقه وعلم وصلاح ودين وولاية وهي قاعدة بلاد السودان".[3]

---

[1]– محمود كعت: **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، هوداس دولافوس، د.ط، 1964، ص09.

[2]– عبد الرحمان السعدي: **تاريخ السودان**، المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية، د.ط، باريس، 1981، ص21.

[3]– أحمد بابير الأرواني: **السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية**، تح: الهادي مبروك الدالي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، بنغازي، 2001، ص26.

المبحث الأول: موقع مدينة تمبكتو وأصل التسمية:

المطلب الأول: موقع مدينة تمبكتو :

لقد حدد الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي موقعها بقوله "...على بعد إثني عشرة ميلا من أحد فروع النيجر".[1] هذا النهر يبعد عن المدينة في فصل الصيف ب16ميلا،[2] أي بنحو 26كلم تقريبا. أما في فصل الخريف فإن مياه النهر تقترب منها فتصل إلى بعد أميال من قرية بكبر،[3] أما في فصل الشتاء يصل ماء النهر إلى القرب من المدينة وبالتالي يسهل حركة السفن الصغيرة.[4]

كما ذكر الأرواني بأن مدينة تمبكتو تبعد عن ولاتة بخمس عشر يوما، ومسافة سبخة تاوديني نحو عشرين مرحلة عن تنبكت على قطب السماء ويقربها قرية كوندام على جهة غروب الشمس بتسعين ميلا، [5]وعن قرية أبو جبة بخمس مراحل،[6]وأن بعدها عن غاو بحوالي إثني عشرة مرحلة من الشرق.[7]

تعد تمبكتو من أهم مدن السودان الغربي فهي تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى بما يعرف بمنحنى نهر النيجر وبالتحديد شمال العاصمة باماكو في دولة مالي والتي تبعد عنها بحوالي ألف وثلاثمائة كلم.[8]

---

[1]– الحسن بن محمد الوزان : **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب، ج2، ط2، بيروت 1983، صص165–166.

[2]– محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية : **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2007، ص96.

[3]– الأرواني: المصدر السابق، ص 45.

[4]– عبد الحميد جنيدي: "مدينة تنبكت نشأة المدينة وتطورها"، **دورية كان التاريخية**،ع16، يونيو 2012، ص112.

[5]– الأرواني : المصدر السابق، ص ص45–46.

[6]– نفسه، ص48

[7]– الهادي مبروك الدالي : **التاريخ الحضاري لإفريقيا وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، منشورات البحوث والدراسات الإفريقية، ط2، طرابلس، 2001، ص99.

[8]– الهادي مبروك الدالي : المرجع السابق، ص46.

كما نجد أن هذه المدينة تقع على عرف رملي وتطل على سهل زراعي يحيط بها من كل الجهات، وعند فيضان نهر النيجر تسقى سهولها من مياهه. وفي المنخفضات الجنوبية والغربية منها توجد مستنقعات تمول تمبكتو بالمياه الصالحة للشرب وتتجدد مياهها عند فيضان نهر النيجر. أما إذا كانت الفيضانات ضعيفة فعادة ما يستعمل سكان تمبكتو المياه الراكدة، وبالقرب منها توجد بحيرة "فاقبين" التي يبلغ طولها أكثر من مئة وثلاثين كلم وإلى شمالها تظهر الكثبان الرملية.[1]

لقد إكتسبت هذه المدينة مكانة مميزة بفضل موقعها الجغرافي الفريد لوقوعها بين الصحراء الكبرى والساحل السوداني الغربي والشمالي،[2]هذا ما جعلها نقطة إلتقاء وتقارب بين إفريقيا العربية شمالا وإفريقيا السوداء جنوبا، وبين السودان الغربي والصحراء الكبرى.[3]والمدينة هي بناء على جانبين من واحة متجهة شرق –غرب، على الميل الجنوبي لثاني واحدة موازية للأولى وبالشمال منها، فالشكل العام للمدينة هو عبارة عن مثلث قاعدته بالجنوب، ومحيطها نحو 3أميال أي نحو 5كلم تقريبا.[4]

تعتبر مدينة تمبكتو من الحواضر التي إكتسبت أهمية كبيرة في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، رغم إمتدادها في منطقة جغرافية صعبة ذلك أن موقعها في منطقة السافانا شبه الصحراوية والمحاطة بالصحراء من جميع النواحي يصعب الحياة بها وهو الأمر الذي جعلها تعتمد على أرياف خلفية للحصول على معظم إحتياجاتها الغذائية.[5]

ولموقع مدينة تمبكتو ميزتان أولهما أنها كانت على مفترق طرق القوافل التجارية حتى قيل عنها أنها المكان حيث يلتقي فيه الجمل بالزورق النهري،[6] وثانيهما أنها كانت منذ نشأتها

---

[1]– محمد حوتية :"حواضر نهر النيجر تمبكتو –جنى – غاو"، **مجلة الحقيقة**، مج 9، ع 1، جامعة أدرار، ص339.

[2]– عبد الحميد جنيدي، المرجع السابق، ص112

[3]– عبد الله سالم بازينة : **إنتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء**، دار الكتب الوطنية، ط1، بنغازي، 2010، ص144.

[4]– عبد الحميد جنيدي: المرجع السابق، ص113.

[5]– حوتية محمد: المرجع السابق، ص339.

[6]– محمد فاضل علي باري : المرجع السابق، ص96.

مدينة إسلامية بكل معنى الكلمة. وصفها المختار بن محمد بقوله: "أنها قاعدة السودان الضاربة في البحر والبر الجامعة بين السودان والحمر."[1] إضافة إلى ذلك فقد ساهمت مساحتها في إزدهار تاريخها وخاصة بعدما كانت محطة نهائية لطريق القوافل العابرة إلى الصحراء الكبرى.[2]

كما وتذكر المصادر السودانية أن مدينة تمبكتو كانت موطنا لكثير من الأجناس فكان فيها مغاربة من فاس ومراكش، وتوات، درعة، تونس، مصر، طوارق صنهاجة ومسوفة، أيضا أهل ولاتة، والزنوج من مختلف الأجناس أهمهم الفولانيون والماندينغ والبورنيون والبمبارا...الخ.[3]

المطلب الثاني: أصل التسمية:

لقد قامت مدينة تمبكتو التاريخية حول بئر ماء كانت تقف عندها الإبل بالقوافل التجارية لتروي عطشها وتتزود منها وتملأ منها قربها، وكانت تقيم عند هذا البئر إمرأة عجوز تدعى "بوكتو" وعرف المكان بإسمها.[4]حيث كان رجال قبيلة مقشرن الطارقية يقيمون في ذلك المكان في فصل الصيف راعيين مواشيهم على ضفاف نهر النيجر، ويرتحلون خلال فصل الخريف شمالا حتى حدود أروان وعندما يرتحلون يتركون أمتعتهم الزائدة لديها،[5]إذ كانت هذه المرأة محل ثقة عندهم فتكفلت بحراسة الأشياء الثمينة فيبقى معها العبيد وعدد من الطاعنين في السن والذين تمنعهم ظروفهم الصحية من التنقل.[6]

وقد كان الطارقي عندما يصل الى موطنه الأصلي يسأل: أين أمضيت فترة الجفاف؟ أو أين لجأت بقطعان ماشيتك أثناء سفرك؟ وأين خبأت أمتعتك؟ فيقول وضعتها عند تين-

---

[1]– الهادي مبروك الدالي : المرجع السابق، ص100.

[2]– فتحي محمد أبو عيانة : **جغرافية إفريقيا دراسة إقليمية للقارة مع التطبيق على دول جنوب الصحراء**، دار النهضة العربية، د.ط، بيروت، 1982،ص ص239-240.

[3]– محمد الغربي: **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، ج1، د.ط، الكويت،1982، ص587.

[4]– عبد الحميد جنيدي : المرجع السابق، ص112.

[5]– سعد غيث مطير: "تنبكت نشأتها وأهم مراكز العبادة بها حتى منتصف القرن 11هـ/17م"، **مجلة جامعة الزيتونة**، ع3، كلية الآداب والتربية، ليبيا، 2012، ص ص107-108.

[6]– حوتية محمد: المرجع السابق، ص340.

بوكتو، ومع مرور الزمن إندمجت الكلمتان معا فأصبحت "تينبوكتو"، ثم "تمبكتو" و"تنبكت " وبذلك سميت المدينة.[1] يقول السعدي "...فجعلوها خزانة لمتاعهم وزرعهم إلى أن صارت مسلكا للساكنين في ذهابهم ورجوعهم وخازنهم أمتهم مدعوة بتنبكت ومعناها في لغتهم العجزة."[2] ولا يزال مكان بكت العجوز الطارقية موجودا إلى يومنا هذا، وهو عبارة عن مثلث يقع في قلب المدينة القديمة.[3]

أما عن نطق إسم تمبكتو ورسمه، فقد وردت بعض الخلافات بين المصادر والمراجع التاريخية التي أرخت للمنطقة، فنجد أبرز المصادر التاريخية كتبتها " تنبكت" مثل محمود كعت في كتابه تاريخ الفتاش وعبد الرحمان السعدي في كتابه تاريخ السودان، وأحمد بابا التمبكتي في كتابه كفاية المحتاج والبرتلي في فتح الشكور.[4]بينما يضبطها الرحالة الوزان وإبن بطوطة بإسم "تنبكتو".[5]

وقد نطقها بعض المستشرقين فكتبوها بالميم " تمبكتو"(Tomboctou) مثل أرنولد توماس ودي بوا[6]، لكن نطق هذه الكلمة يتغير حسب تعدد اللغات، فباللغة الفرنسية تنطق

---

[1]– علي محمد عبد اللطيف: **تمبكتو أسطورة التاريخ**، دار الكتب الوطنية، ط1، بنغازي،2001،ص85.

[2]– عبد الرحمان السعدي : المصدر السابق، ص21.

[3]– عبد الحميد جنيدي: المرجع السابق،ص112.

[4]– محمود كعت: المصدر السابق، ص18 ؛ عبد الرحمان السعدي : المصدر السابق، ص20؛ أحمد بابا التمبكتي: **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تح: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج2، د.ط، 2000، ص234 ؛ أبي عبد الله الطالب محمد البرتلي: **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تح: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1981، ص107.

[5]– الوزان : المصدر السابق،ص165 ؛ أبو عبد الله محمد الولاتي إبن بطوطة: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وغرائب الأسفار**، مطبعة الأزهرية،ج2، ط1، مصر، 1928، ص202.

[6]– توماس أرنولد : **الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية**، تر: حسن إبراهيم وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، د.ط، القاهرة،1871، ص354 ؛ فيليكس دي بوا : تمبكتو العجيبة، تر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2003، ص 184.

تومبكتو(Tombouctou)، أما باللغة الإنجليزية تنطق تيمبوكتو(Timbouctou)، أما بلغة السنغاي فنطقت طمبوكتو أو تومبكتو.[1]

وبعد التمعن في كل ما أوردته مصادر تاريخ السودان من آراء حول النطق والرسم الصحيحين لإسم المدينة فإننا نتوصل الى أن إسم "تنبكت" هو الأقرب للصحة لأنهم من أهالي المنطقة، ولكن مع مرور الزمن تبدل نطقها لتصبح "تمبكتو" بالتاء والميم، وهذا ما يظهر في الكتابات التاريخية المعاصرة مثل عبد القادر زبادية، وإسماعيل العربي وغيرهم.

المبحث الثاني: نشأة مدينة تمبكتو ومراحل تطورها

المطلب الأول: نشأة مدينة تمبكتو:

لقد إختلف عدد من المؤرخين حول التاريخ الفعلي لنشأة المدينة، فعبد الرحمان السعدي يرى أن المدينة أنشأت على يد طوارق أمقشرن[2] في أواخر القرن 5هجري الموافقل11ميلادي، هؤلاء قدموا الى هذه المنطقة كرعاة لأغنامهم حيث ينزلون بها في فصل الصيف ثم يتكفئون عنها إلى أوطانهم في فصل الخريف.[3] أما ليون الإفريقي فيورد عن تأسيسها بقوله أن المدينة بناها ملك يدعى منسى سليمان وفي عام 600هـ-1204م[4]. إذ يوافق هذا الأخير المؤرخ مارمول كاريخال حول إسم مؤسسها، لكنه يخالفه حول تاريخ التأسيس فهو يورد أنها تأسست سنة 610هـ-1200م، ولكنه يبدو غير متأكد منه[5].

أما المؤرخ دي بوا فيقول أن مدينة تمبكتو ظهرت في أواخر القرن 5هجري /1100ميلادي على يد قبيلة من الطوارق تدعى "ماكسار" والتي ترعى قطعان الماشية على شواطئ النهر ويعودون إلى الصحراء عند فيضانات الشتاء. وهذه القبيلة قامت بإختيار موقع

---

[1]- عبد الحميد جنيدي : المرجع السابق، ص112.

[2]- أمقشرن: هو السلطان محمد من طوارق مقشرن الذي أسس مدينة تمبكتو؛ الأرواني: المصدر السابق، ص 45.

[3]- السعدي: المصدر السابق،ص20.

[4]- الوزان: المصدر السابق،ص165.

[5]- مارمول كاريخال: **إفريقيا**، تر: محمد حجي وآخرون، دار النشر المعرفة،ج3، د.ط، الرباط، 1989،ص201.

لها وشيدت به معسكرا خاصا بها ووضعت عليه إمرأة عجوز تدعى "تمبكور" لحراسته.[1] ويرى أحمد فتوح أن هاته المدينة أنشأت في البداية على أنها رباط أقامه عبد الله بن ياسين على حافة الصحراء الجنوبية لبلاد المغرب على نهر النيجر حول بئر الماء الذي كانت ترتوي منها القوافل التجارية.[2]

ومنهم من يقول أنها تأسست عام 494هـ/1100م،[3]و البعض الآخر يقول أنها تأسست في نهاية القرن 6هـ/12م، ولكننا ندحض هذه الآراء المختلفة ونميل إلى رأي إبن المدينة عبد الرحمان السعدي الذي أكد لنا أن تأسيسها كان على يد قبيلة مقشرن أو مكشرن الطارقية.[4] وأكبر دليل على ذلك برهان صاحب السعادة بقوله: "...أعلم أن أول من سكن فيها أمة الطوارق إسمها تنبكت".[5]

والملاحظ من خلال هذه الآراء أن أغلبها تؤكد أن مؤسس المدينة من البربر الطوارق وخاصة طبقة النبلاء والأعيان والسادة الذين كانوا ينزلون بها شهور الصيف وفي الخريف يرتحلون.[6]وسرعان ما أخذ السكان يتوافدون ويسكنون فيها فكانوا يأتون من كل جهة ومكان، فأصبحت المدينة سوقا كبيرا للتجار، ويفد اليها الرحالة عن طريق نهر النيجر وتقصدها القوافل التجارية من ساحل إفريقيا الشمالية من الشمال والشرق (الجزائر وطرابلس)[7] في طريقها الى مملكة مالي، وكانوا يتوقفون في المعسكرات لتجديد نشاطهم ومؤنهم، ومن بين هذه المعسكرات تمبكتو وغاو. ومن هنا بدأ النشاط الإقتصادي في التطور[8] ليقابله تطور الحياة الثقافية في

---

[1]– دي بوا: المرجع السابق، ص ص184–185.

[2]– أحمد فتوح أحمد عابدين: **الحواضر الإسلامية في غرب إفريقيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر تاريخها السياسي والحضاري والإقتصادي**، (رسالة ماجستير)، قسم التاريخ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1989م، ص107.

[3]– محمد فاضل علي باري: المرجع السابق،ص98.

[4]– السعدي : المصدر السابق،ص20.

[5]– الأرواني : المصدر السابق،ص51.

[6]– عبد الله سالم بازينة: المرجع السابق،ص141.

[7]– محمد فاضل علي باري : المرجع السابق،ص97.

[8]– دي بوا: المرجع السابق،ص185.

المنطقة. خاصة وأن هؤلاء التجار العرب كانوا يسعون إلى نشر الإسلام في هاته البقاع فما كان من هؤلاء السكان الأفارقة إلا أن إستجابوا لدعواهم.

المطلب الثاني : مراحل تطور مدينة تمبكتو:

1-التطور السياسي: عرفت مدينة تمبكتو تطورا سياسيا منذ نشأتها وتعاقب على حكمها العديد من القوى السياسية ونذكرها بشكل متتالي :

- تمبكتو تحت حكم الطوارق: لقد إستطاعت قبائل الطوارق أن تسيطر على المدينة كأول ملاك لها في أواخر القرن 5هـ-11م، وكان حاكمها يدعى الملك أمقشرن، هذا الملك كان يعين من خارج قبيلتهم لقيادة البلدة.[1]أما هم فلا يسكنون تلك الحاضرة بل كانوا يرتحلون في البراري لأنهم من أهل البادية، وقد عمروا في هذه المدينة وسيطروا عليها لمدة 300سنة وتمكنوا من بناء المسجد المعروف بمسجد سيدي يحي الذي يعتبر أول مسجد بني في ذلك الموضع.[2]
- تمبكتو تحت حكم مملكة مالي : بعد سيطرة الطوارق طوال تلك المدة تمكن ملوك مالي من سلبها من بين أيديهم في أواسط القرن 8هـ-13م[3]. وكان ذلك على يد الملك منسى موسى الذي سعى إلى إدخال نظام السلطنة وشيد دار الحكم [4]وقد دام حكمه 100سنة، وكانت من مآثره أنه جعل من المدينة مركزا للعلم والتدريس، يفد إليها الطلاب المسلمين من شتى أنحاء إفريقيا ومن البلاد العربية، ولكنها سرعان ما فقدت سيطرتها على معظم أرجاء التكرور وتمبكتو.[5]

---

[1]- الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق،ص102.

[2]- أحمد بابير الأرواني: **جواهر الحسان في أخبار السودان**، تح: الهادي مبروك الدالي، سلسلة التاريخ الثقافي المشترك لإفريقيا ما وراء الصحراء وشمالها، د.ط، د.ت، ص45.

[3]- الأرواني :جواهر الحسان، المصدر السابق، ص45.

[4]- الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق،ص103.

[5]- عثمان برايما باري: **جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي**، دار الأمير، ط1،القاهرة، 1421هـ-200م، ص21.

- تمبكتو تحت حكم الطوارق للمرة الثانية : سقطت مدينة تمبكتو في أيدي الطوارق للمرة الثانية فحكموا المدينة لمدة 40عاما.[1] قاموا بتعيين ملك عليها يدعى محمد نض نض منذ سنة 1433م، وبعد وفاته ولى السلطان أكيل ولده الأكبر عمار مقامه فتبين فيما بعد أنه ظالم طاغي لا يستحق حكم المدينة،[2]فاعترض سكانها عليه وهنا قرر عمر الإنتقام سرا فقام بإرسال رسول إلى سني علي يعطيه فيها معلومات عن أكيل والطوارق ووعده بتسليم المدينة، فقبل سني علي هذه الدعوة خاصة وأنه كان يأسس لإمبراطورية سنغاي في منتصف القرن 15م، وعندما ظهرت قوات هذا الأخير قرر زعيم الطوارق أكيل الهرب برفقة شعبه وعدد كبير من علماء وفقهاء جامع سنكري إلى ولاتة[3] لينفرد سني علي بحكم المدينة.
- تمبكتو تحت حكم مملكة سنغاي : بعد أربعين سنة من سيادة الطوارق لتمبكتو تمكن سني علي من إنتزاعها منهم سنة (873-898هـ/1468-1492م)، وقد ظل على الحكم لمدة 24عاما.[4]فعزم هذا الأخير على ضم تمبكتو إلى مملكته بإعتبارها أرضا تدخل في حق قبائل السنغاي. لكنه لم يلبث إلا أن بدأ في تخريبها سنة 1468م، إذ قام بمجزرة عظيمة ذبح فيها كل سكان المدينة. فلطالما وصفته المصادر التاريخية بالرجل القاسي الشرير والظالم والسفاح مضطهد العلماء والساخر بالدين فقد كان يؤدي الصلاة وهو جالس.[5]
- تمبكتو تحت حكم الأساكي: لقد دام حكمهم لمدة قرن كامل فنجد اولهم الأسكيا محمد التوري الذي تولى زمام الحكم في المدينة من سنة 898هـ- 1492م. وإستمر حكم الأساكي إلى غاية سقوط مملكة سنغاي سنة 999هـ-1590م[6] على يد الغزو المراكشي

---

[1]- الأرواني: جواهر الحسان، المصدر السابق، ص45.

[2]- السعدي : المصدر السابق، ص23.

[3]- دي بوا: المرجع السابق، ص 188.

[4]- الأرواني : جواهر الحسان، المصدر السابق،ص45.

[5]- الأرواني: السعادة الأبدية، المصدر السابق،ص62.

[6]- الأرواني: جواهر الحسان، المصدر السابق،ص45.

للسودان الغربي كافة. وقد شهدت تمبكتو خلال هذه الفترة المذكورة تطورا وإزدهارا كبيرا في جميع المجالات وأصبحت العاصمة الثانية للمملكة بعد غاو، والمركز العلمي والتجاري الأول في نهاية القرن 16م، فلم تلبث إلا أن أصبحت عاصمة تحتل الدرجة الأولى من بين دول السودان الغربي.[1] والسبب يعود للهدوء والأمان خلال هذه الفترة خاصة فترة حكم الأسكيا محمد الكبير.

2-التطور الإقتصادي:

لقد كانت مدينة ولاتة من أبرز وأكثر مراكز السودان الغربي إزدهارا في جميع المجالات خاصة في مجال التجارة، حيث إحتضنت التجار والعلماء من كل حدب وصوب. ولكن مع حلول القرن 14م أفل نجم ولاتة، وقامت على أنقاضها مدينة تمبكتو لتزدهر شيئا فشيئا، يقول السعدي: "وكان التسوق في بلد بير[ولاتة] وإليه يرد الرفاق من الآفاق وسكن فيها ذوو الأموال ثم إنتقل الجميع إلى تنبكت قليلا قليلا حتى إستكملوا فيه وزيادة."[2]

تعتبر مدينة تمبكتو محطة تجارية كبرى على الضفة الجنوبية من الصحراء الكبرى، تحط بها القوافل التجارية المنهكة القادمة من شمال الصحراء، فهذه القوافل تعرض مختلف سلعها وبضائعها في رحبة سوقها،[3]حيث كانت أثمن الأشياء في تلك السوق هي الكتب والملح والخيول، إذ كانت الكتب تستورد من بلاد المغرب ومصر، وهذا دليل على المستوى الثقافي الذي كانت عليه المدينة.[4]

وكان للنشاط الإقتصادي والثقافي دور بارز في إحياء حركة القوافل التجارية التي كانت تتبع عدة محطات للوصول إلى مدينة تمبكتو والعكس من تمبكتو إلى البلدان الأخرى. إذ توافد

---

[1]– محمد الغربي: المرجع السابق، ص575.

[2]– السعدي: المصدر السابق، ص21.

[3]– عبد الحميد جنيدي: "الأوضاع الإقتصادية في تمبكتو في القرن 10هـ – 16م"، **مجلة أنسنة للبحوث والدراسات**، ع4، ماي 2012م،ص80 ؛ أنظر الملحق رقم 1.

[4]– عبد القادر زبادية : **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر،ص102.

عليها تجار السودان الغربي ومن الشمال الإفريقي في حركة دؤوبة يحملون معهم بضائعهم ويعودون محملين بالذهب والرقيق وناب الفيل والرخام، خاصة في العصر الذهبي لهذه المدينة وهو القرن 10هـ- 16م.[1]

فقد كانت التجارة تتم بواسطة تبادل سلعة بسلعة مثل تبديل الذهب بالملح، هذه التجارة نشطت بفضل الطرق والدروب التي ربطت بين تمبكتو ومختلف المراكز الواقعة في الشمال الصحراوي بحيث سهلت تبادل مختلف البضائع والسلع،[2]خاصة وأن مدينة تمبكتو كانت تقع على ملتقى الطرق والقوافل البرية عبر الصحراء والقوافل النهرية التي تسير عبر نهر النيجر. من ابرز هذه الطرق البرية التي كانت تتصل بتمبكتو نجد:

- الطريق من مصر مارا بكانم إلى تمبكتو وهذا أبعد طريق.
- الطريق من المغرب الأقصى مارا بسجلماسة وتوات إلى تمبكتو.
- الطريق من تونس ثم هجار ثم تمبكتو.
- الطريق من تغازا مارا بولاتة ثم تمبكتو.[3]

والجدير بالذكر أن التطور الإقتصادي الذي شهدته تمبكتو وإتساع نطاق التجارة داخل المدينة أسهم بشكل كبير في تنشيط الحياة الثقافية في المدينة، خاصة مع توافد العلماء والفقهاء من المشرق والمغرب الإسلاميين إلى بلاد السودان الغربي، والذين سعوا الى نشر الدين الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية .

3-التطور الإجتماعي :

إن البحث عن أصل سكان مدينة تمبكتو يقودنا إلى أنهم كانوا ينتسبون إلى أصول عربية تجري في عرقهم الدماء الزنجية، وتشير بعض المصادر إلى أن أغلب سكان المدينة من البيضان الذين هم مزيج من عرب المشرق وعرب المغرب والطوارق.[4] فتمبكتو هي

---

[1]- عبد الله سالم بازينة : المرجع السابق، ص142.

[2]- عبد الحميد جنيدي: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق،ص80.

[3]- عبد الله سالم بازينة : المرجع السابق،ص142-143.

[4]- الأرواني : السعادة الأبدية، المصدر السابق، ص ص10-14.

المدينة الوحيدة التي عرفت التعدد السكاني بفضل نشاطها التجاري الكبير، فقد تعايشت فيها على مر العصور ثقافات وعرقيات مختلفة من الطوارق وقبائل الفولاني والبمبارا والسنغاي الإفريقيين.

فقد وصفت مدينة تمبكتو بأنها مدينة ذات جمال رائع وكان أهلها يدينون بالإسلام ويحيون السنة ويحاربون البدع، ومن سكن فيها عاما أو أكثر نسي فعلته وتاب عند دخوله لها، فهي دار فقه وعلم وصلاح، حيث سكنها صفوة من العلماء والفضلاء حتى لا يوجد سكن من المدينة إلا وفيه ولي من أولياء الله .[1]

فأهل تلك المدينة إمتازوا بالسماحة فلم يكن منهم من به فظاظة وكانوا كرماء يحبون الغريب ويحترمونه ويقدمونه على أنفسهم ولا ينسون من عاشرهم من الناس. ولقد إرتبطت عادات وتقاليد أهل تمبكتو بالشمال الإفريقي، فكانت بيوتهم على الطراز المعماري الأندلسي. إضافة إلى ذلك فقد تشبه حكامهم وأمراءهم وحتى عامة الشعب بالعرب في زيهم وعاداتهم وتقاليدهم اليومية، فنجد أن الأكلة الشعبية عندهم هي "الكسكسي" المشهورة في الشمال الإفريقي.[2]

فمدينة تمبكتو خلال القرن 10هـ-16م هي شهادة لحياة التحضر حيث كانت جد محبوبة، هناك مظاهر الزواج مع الطبل والرقصات الليلية والأناشيد، وهناك إثنان من الحفلات الكبيرة في السنة مثل العيد الأكبر المسمى عندهم "تاباسكي" وهو حفل إسلامي في مصب نهر النيجر وبالخصوص تمبكتو، كذلك تخليد المولد النبوي الشريف. أما لباسهم فهي ألبسة نظيفة ومعظمهم يلبسون ثيابا ملونة باللونين الأبيض والأزرق ولربما كان بعضها من المنسوجات المحلية.[3]

---

[1]– الهادي مبروك الدالي : **مملكة مالي وعلاقاتها مع المغرب وليبيا**، تح: محمد رزوق، دار الملتقى للطباعة والنشر، ط1، بيروت لبنان،2001، ص93.

[2]– الهادي مبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية، المرجع السابق، ص 94.

[3]– عبد الحميد جنيدي : مدينة تنبكت، المرجع السابق، ص144.

يقول العمري: "ولباسهم عمايم بحنك مثل العرب وقماشهم بياض من ثياب القطن ويزرع عندهم... ومنهم شبيه بزي المغاربة جباب ودراريع بلا تفريج ويلبس أبطالهم الفرسان أساور من ذهب".[1] وهذا دليل على خضوع المنطقة للمؤثرات العربية الإسلامية. كما وقد عرف على سكان المنطقة المثابرة في الصلاة والعناية بحفظ القرآن والتزام النساء بإرتداء الحجاب فلا يسمح لهن بالخروج غير مقتنعات.[2] أما بالنسبة لعدد السكان في القرن 10هـ-16م، قدر الباحث سنكي مودي سوكو عدد سكان المدينة في ذروة مجدها بحوالي 80.000 نسمة، وهذا في عهد الأسكيا داوود (1549-1583م)، أما المؤرخ فيليكس دي بوا فيقدر عدد السكان في مرحلة الأوج ب40الى50 الف نسمة، وهذا دليل على عظم الإقبال على هذه المدينة خاصة فئة الفقهاء وطلاب العلم والتجار.[3]

4-التطور العمراني:

إن مدينة تمبكتو منذ بداية تأسيسها كانت محاطة بصور كبير يحميها من غارات الأعداء وقطاع الطرق، وكان لهذا السور حراس يقومون بحراسة المدينة ويسهرون على إستتباب الأمن بها إذ تغلق أبوابها بعد صلاة المغرب، فلا يسمح بدخول المدينة بعد ذلك الوقت.[4]وبداخل هذا السور منازل متنوعة من حيث البناء والشكل الهندسي، إذ تميزت مساكن المدينة في بداية الأمر بخليط من زربيات الأشواك وبيوت الحشائش، لكن يوما بعد يوم تحلوا إلى الصناصن[5] والأكواخ المبنية بالأوتاد المخلوطة بالطين والمسقوفة بالتبن، [6]وتحلوا إلى بناء الحيوط بأسوار قصيرة جدا حيث أن الواقف بالخارج يرى ما بداخلها.[7]

---

[1]- سعد غيث مطير: **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين 10-11هـ/16-17م**، دار المدار الإسلامي، مصر، د.ت، د.ط، ص371.

[2]- محمد فاضل علي باري: المرجع السابق، ص 127.

[3]- عبد الحميد جنيدي: مدينة تنبكت، المرجع السابق، ص114.

[4]- الهادي مبروك الدالي : التاريخ الحضاري، المرجع السابق، ص104.

[5]- السعدي: المصدر السابق، ص21.

[6]- الوزان: المصدر السابق، ص165.

[7]- السعدي : المصدر السابق، ص 21.

وبعد هذا التطور أزيلت الأكواخ المصنوعة من القش والخيام، ليعوضها فن البناء الجديد المتمثل في بناء البيوت المتعددة الطوابق والمخازن خاصة في عهد سلطنتي مالي وسنغاي.[1] نجد دور تمبكتو على أيام الأساكي مبنية بالطوب،[2]وقد تم بناء مسجد في وسط المدينة مبني بالحجر المركب بالطين والجير، والقصر الكبير الذي يسكنه الملك.[3]إذ وصفت منازلها بأنها منظمة جدا. أما المؤرخ هنري بارث فيقول عن منازلها أنها مختلفة الشكل والأحجام فبعضها محلي بزخارف وبعضها محاط بأكواخ قش وشوارعها ضيقة ومن دلائل الإزدهار العمراني كثرة مساجدها وقصورها.[4]

وكانت المباني الفخمة مثل القصور والمساجد وغيرها تبنى لأثرياء القوم وأمثالهم من الأمراء، وتزين بالمعادن الثمينة من الذهب والفضة، وجعلها في أجمل صورة من صور الثراء كمرآة عاكسة للحضارة الإسلامية التي لطالما إجتهد المهندسون المغاربة في تكوينها في مختلف مدن السودان الغربي.[5]ولقد وصفها الأرواني في كتابه السعادة الأبدية "أن مقامها من السودان مقام الوجه من الإنسان." لإحتواءها على عدد لا يحصى من الفقهاء والصالحين الذين كانوا على المذهب المالكي، إضافة إلى سكانها الأصليين الذين كانوا على نفس المذهب السابق وعقيدتهم عقيدة السنة.[6]

فمع إنتعاش الحركة التجارية في مدينة تمبكتو كانت نتيجة لإنتشار دكاكين كثيرة للصناع والتجار ولا سيما دكاكين نساجي الأقمشة الأوروبية التي يحملها تجار بلاد البربر،[7]حيث قاموا بتخصيص حيز خاص بكل مهنة وحرفة، وأصبح لكل من العلماء والصناع

---

[1]– محمد الغربي: المرجع السابق، ص573؛ أنظر: الملحق رقم 2.

[2]– عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص104.

[3]– الوزان : المصدر السابق، ص166.

[4]– الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص104.

[5]– نفسه، ص105.

[6]– الأرواني : السعادة الأبدية، المصدر السابق، ص49–50.

[7]– الوزان : المصدر السابق، ص165–166.

والعبيد والصيادين والعمال الوافدين من جميع أقطار المغرب أحياءا خاصة بهم.[1]فنجد كأبرز هذه الأحياء:

- حي"سانكوري" والذي يسمى أيضا سونكوري، ويقع هذا الأخير شمال مدينة تمبكتو وهو خاص بإقامة العلماء والعائلات الصنهاجية،[2] المتمثلة في البيوتات العلمية المشهورة.
- وإلى الجنوب الشرقي نجد حيان: أ–حي "ساراكينا" وهو خاص بكبار القواد وأهل المشورة .

ب–حي "بوبوكينا" وهو خاص بمساكن الجند اي معسكرات، وفيه أيضا قصر السلطان الذي يبيت فيه عند زيارته لمدينة تمبكتو.[3]

- وإلى الجنوب من حي بوبوكينا وجد حي "سانغيز" ويسمى حي الجامع الكبير. وإلى الشرق منه يقع حي "بوبو" وإلى الغرب منه يقع حي "باغاندي".[4]
- كما وجدت بعض الأحياء المخصصة للغرباء منها حومة التواتيين وحومة الغدامسيين.[5]
- أما في الجنوب الشرقي للمدينة فوجد حي "ساينغونفو" الذي أقيمت فيه دور السكن المتواضعة وبعض الدكاكين .[6]

أما بالنسبة لقصر السلطان فقد تميز بشكله وزخارفه التي أبهرت الحسن الوزان أثناء زيارته للمدينة سنة 913هـ–1507م، حيث وصفه بالروعة والجمال في طريقة البناء والزخرفة،

---

[1]– الوزان : المصدر السابق، ص575.

[2]– محمد الغربي: المرجع السابق، ص 575.

[3]– زمان عبيد وناس: **تمبكتو وأثرها الحضاري في العصور الوسطى الإسلامية المتأخرة**، دار الأيام، د.ط، د.ت، ص45.

[4]– محمد الغربي : المرجع السابق، ص 575.

[5]– الهادي مبروك الدالي : التاريخ الحضاري، المرجع السابق، ص ص103–104.

[6]– زمان عبيد وناس : المرجع السابق، ص46 ؛ أنظر: الملحق رقم 3.

والذي إبتناه نائب السلطان في دولة مالي خلال القرن 8هـ-14م.[1]وإلى جانب القصر وجدت دار الإمارة أو دار السلطان أي دار الحكم،[2]إضافة إلى وجود بيت المال.[3]والجدير بالذكر أن الفن المعماري في بلاد السودان الغربي عامة كان تقليدا للمغاربة، إذ تميز عن غيره بلمسات سودانية وأشكالا مغربية متأثرة بمواد البناء المقتبسة من المغاربة والاندلسيين.[4]

المبحث الثالث: مظاهر إنتشار الإسلام في مدينة تمبكتو:

المطلب الأول: إنتشار المذهب المالكي:

لقد تصادف وأن كان لقاء السودانيين مع الإسلام بفضل أهل المغرب المالكيين فأحب أهل السودان الإسلام وساروا في ركاب الذين جاؤوا به، لأن المذهب المالكي مذهب عملي مستمد من الواقع ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم ويتماشى مع طبيعة الفطرة في بساطتها ووضوحها دون تكلف أو تعقيد، بحيث ساهم هذا العامل في ترسيخ المذهب المالكي في كامل بلاد السودان الغربي[5].

فمع ظهور مملكة مالي عرفت بلاد السودان الغربي ذيوع المذهب المالكي بشكل أوسع، إذ تمذهب به ملوكها ورعيتهم، حيث توافد عليهم جمع غفير من علماء المذهب أمثال الفقيه الجازولي والشيخ أبو حفص المسوفي، كما إشتهر ملوكها بإقامة الدين على هذا الفقه منهم الملك منسى موسى (712-738هـ) والذي عرف بالصلاح والعدل. فقد كان متمسكا بالمذهب المالكي فخورا بالإنتساب إليه.[6] ويظهر هذا جليا عندما مر على مصر أثناء رحلته الحجية الشهيرة (724هـ-1334م)، ودخل على سلطان مصر محمد بن قلاوون وطلب منه أن يقبل

---

[1]- الوزان : المصدر السابق، ص 165.

[2]- الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري، المرجع السابق، ص 105.

[3]- زمان عبيد وناس: المرجع السابق، ص 55.

[4]- عبد القادر زبادية : المرجع السابق، ص ص 167-168.

[5]- عبد الكامل عطية:" مظاهر إنتشار الثقافة العربية الإسلامية في حواضر السودان الغربي خلال القرنين 15-17م"، **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية**، مج 4، ع 1، جامعة حمة لخضر بالوادي، الجزائر، 2016، ص166.

[6]- محمد مولاي :**القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي من أواخر القرن التاسع هجري حتى الثاني عشر هجري(15-18م)**، (أطروحة دكتوراه)، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2018-2019م، ص89.

الأرض في حضرة السلطان المملوكي، فرفض وأبى وقال له أنا مالكي المذهب لا أسجد لغير الله فأعفاه السلطان من ذلك التقليد وقربه إليه وأكرمه.[1]

وقد عني السلطان منسى موسى بتشجيع الحركة العلمية بصفة عامة والفقهية بصفة خاصة، وعمل على توطيد علاقاته مع دولة بني مرين في المغرب الأقصى، مما أعطى روحا جديدة لهذه العلاقات تمثلت في هجرات لعلماء وفقهاء مالكيين من بلاد المغرب إلى بلاد السودان الغربي منهم الفقيه المفتي الحاج جد القاضي عبد الرحمان بن أبي بكر بن الحاج، والذي أسهم في ذيوع هذا المذهب بعد أن تولى القضاء في تمبكتو.[2]

وتشجيعا لسياسة منسى موسى على إستقدام الكثير من الفقهاء من المغرب والحجاز إلى دولته، فقد إستقدم كاتب موسى معه الفقيه عبد الله البلبالي وهو أول من تولى إمامة المسجد الجامع،[3] حيث كان له دور كبير في نشر المذهب المالكي في مدينة تمبكتو. ونجد أيضا الشيخ والفقيه مودب محمد الكابري الذي إستقر بمدينة تمبكتو وأخذ عليه العديد من طلاب العلم.[4] كما وقد إمتدت جهود منسى سليمان لدعم المذهب المالكي في دولة مالي، إلى بناء المساجد والجوامع، والتي أعانت الفقهاء والخطباء على تعميم المذهب بين السكان عن طريق الخطب على المنابر بالإظافة إلى دروس الوعظ بعد الصلاة.[5]

وتواصل الإهتمام بهذا المذهب في عهد مملكة سنغاي وبالتحديد خلال فترة حكم الأساكي. فبتولي الأسكيا محمد الحكم علا شأن المذهب المالكي إذ إشتهر هذا الأخير بالورع والتقوى، كما كان مراعيا لحرمة الدين ملتزما بإتباع أحكامه، كما كان له ميل شديد لنشر الإسلام السني وجعله دينا ودولة. وقد أولى إهتمام كبير بالفقهاء يأخذ برأيهم في جميع

---

[1]– السعدي : المصدر السابق، ص5.

[2]– محمد مولاي: المرجع السابق، ص ص89–90.

[3]– السعدي: المصدر السابق، ص57.

[4]– نفسه، ص58.

[5]– سحر عنتر محمد أحمد مرجان: **فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصنغاي (628–1000ه/ 1230– 1591م)**، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 1432ه–2011م، ص ص76–77.

شؤونه،[1]ويذكر منه الأفراني بعد عودته من الحج بقوله: " فرجع إلى السودان فنصر السنة وأحي طريق العدل وجرى على منهاج الخليفة العباسي في مقعده وملبسه وسائر أموره ومال للسيرة العربية وعدل في سيرة العجم فصلحت الأحوال.[2]

كما إتصل الأسكيا محمد بالشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي والذي يعد من كبار فقهاء المالكية في عصره، وذكر له الأسكيا جهل بعض علماء بلاده بالأمور الدينية واللغة العربية، فأجابه المغيلي ناصحا بقوله: "وجب عليك أن تطلب عالما من أهل الذكر فالعلماء في هذه الأمة كالأنبياء في الأمم الماضية يجب الإعتماد عليهم والسعي إن بعدوا".[3] وقد سار الأسكيا داوود على نهج والده الأسكيا محمد في التمكين والسيادة للمذهب المالكي خاصة وأنه كان حافظا للقرآن الكريم، فقيها عالما بأحكام هذا المذهب، حيث قرأ كتاب الرسالة لأبي زيد القيرواني على يد أحد فقهاء المالكية، وفي عهده إنتشرت كتب المذهب بفضل إتخاذه نساخا ينسخونها، وقام بإنشاء خزائن لهذه الكتب.[4]

في حين ساهم عدد من فقهاء السودان الغربي في تدريس الفقه المالكي وعملوا على إزدهاره وتمكينه، إذ نبغت مجموعة من الأسر العلمية في هذا المجال منهم أسرة آقيت وأسرة بغيغ، أسرة أندغ محمد وأسرة البلبالي وغيرها. فقد إشتغلت هاته الأسر في التدريس وقراءة المؤلفات الفقهية المالكية عن طريق الانتحال منها، فظهرت حركة التأليف بوضع مختصرات وشروح لهذه الكتب وفق متطلبات الزمان والمكان.

وتعد آثار أحمد بابا التمبكتي من أقوى الدلائل على سيادة هذا المذهب في هذه الربوع، وتأتي على رأس مؤلفاته ما وضعه للتعريف بعلماء المذهب المالكي والمسمى نيل" الإبتهاج

---

[1]– سحر عنتر : المرجع السابق، ص90.

[2]– أحمد جعفري : "المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي وتأثره بفقهاء بلاد المغرب قراءة في المصادر العربية والإفريقية ما بين القرنين (8–11ه/ 14–17م)"، **مجلة آفاق علمية**، مج 12، ع 1، 2020، ص217.

[3]– محمد بن عبد الكريم المغيلي : **أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي**، تح: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 1974، ص32.

[4]– سحر عنتر : المرجع السابق، ص93.

بتطريز الديباج" ومؤلفه الثاني بعنوان" كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج"، ومن مصنفاته في الفقه المالكي نجد : "متن الرب في تجميع مهمات خليل " و" اللمع في الإشارة لحكم طبغ" وغيرها. كما نجد الفقيه محمود بن عمر آقيت الذي ألف شرحا حول مختصر خليل[1]. حيث كان هذا الأخير يقوم بتدريس مدونة الإمام سحنون ورسالة إبن أبي زيد القيرواني.[2]

وعلى العموم فإن دخول المذهب المالكي لبلاد السودان الغربي شكل وحدة فقهية متكاملة بينها وبين بلاد المغرب الإسلامي، تمثلت في رسوخ قضايا فقهية جعلت من المؤلفات المالكية كموطأ مالك ومدونة سحنون ومختصر خليل وغيرها مرجعا متفق عليه تستمد منه الأحكام الفقهية والقضائية على وجه الخصوص.

المطلب الثاني: شيوع اللغة العربية:

لقد إنتشرت اللغة العربية في حواضر السودان الغربي جنبا إلى جنب مع تغلغل الإسلام في النفوس، بحيث أصبحت لزاما على الزنجي الذي إعتنق الإسلام أن يتقن اللغة العربية بإعتبارها آداة العبادة ومفتاح الولوج إلى عوالم الثقافة الإسلامية، ومن ثم الإنفتاح على حضارة هذا الدين الحنيف. وعلى الرغم من أن بعض القبائل الزنجية المسلمة ظلت متمسكة بلهجتها الأصلية، لكن اللغة العربية أمكنها أن تتطور وتنمو لتغدو لغة المثقفين والفقهاء.[3]

وقد إهتم سلاطين السودان الغربي (مملكتي مالي وسنغاي الإسلاميتين) بالعلم والعلماء، ويذكر أن سلطان مالي منسى موسى كان يتقن اللغة العربية قراءة وكتابة وحديثا، وقد عمل على جعل اللغة العربية اللغة الرسمية إلى جانب اللغة المحلية. فاللغة العربية بصفتها اللغة التي يقرأ بها القرآن الكريم وتدرس بها تعاليم الدين وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، كان تأثيرها عميقا في لغات مناطق غرب إفريقيا وخاصة لغة السنغاي التي تصل عدد كلمات اللغة

---

[1]– أحمد جعفري : المرجع السابق، ص ص220–221–222.

[2]– أحمد بابا التمبكتي : نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ج2، ص ص343–344.

[3]– عبد الكامل عطية : المرجع السابق، ص165.

العربية المستخدمة فيها إلى ما يزيد على 270كلمة. وما ساعدها على الإنتشار هو فتوى تفيد بعدم جواز ترجمة القرآن الكريم وكتابته بغير اللغة العربية الي نزل بها، فضلا عن عدم جواز قراءته بغيرها.[1]

كما إزدادت اللغة العربية توسعا في الفترة ما بين القرنين(8-10هـ/ 14-16م)، ويرجع ذلك إلى تجذر الإسلام لدى الحكام والمحكومين، وكذلك بلوغ العرب مراكز القرار في تلك الدول كتابا، وزراء، مستشارين، وأضحت لغة المراسلات حينها.[2] وقد لعب التجار والدعاة وإستقرار الجاليات العربية والبربرية دورا حاسما في إنتشار اللغة العربية، فمع إزدياد عدد المسلمين الأفارقة إكتسبت اللغة العربية مسحة من التقديس عندهم.[3] فقد بلغت اللغة العربية مكانة مهمة وكان لها الفضل الكبير في إنتشار الإسلام والتعليم وكل العلوم المتصلة بهما من نحو وصرف وتفسير وقرآن وفقه وأدب وتاريخ وغيرها، فصار القانون الإسلامي أو الشريعة والمعتقدات والممارسات جنبا إلى جنب مع اللغة العربية.[4]

فاللغة العربية إستطاعت أن تأثر في اللغات المحلية الإفريقية من خلال إدخال الكلمات ذات الأصل العربي، من أجل هذا يقول أرنولد توماس: "وبلغت اللغة العربية وهي لغة القرآن درجة عظيمة من الذيوع والإنتشار، حتى غدت لغة التخاطب بين قبائل نصف القارة السوداء."[5]وبهذا ساعدت اللغة العربية وإنتشارها بين أهالي السودان الغربي الإنفتاح على العالم الإسلامي. فقد كانت لغة الحكومة والمراسلات السياسية، فمراسلات منسى موسى إلى سلطان

---

[1]- عبد الكامل عطية : المرجع السابق، ص166.

[2]- عثمان منادي : "مظاهر الحياة العلمية في حواضر غرب إفريقيا"، **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية**، مج6، ع1، جامعة سوق أهراس، ص13.

[3]- أحمد إبراهيم دياب: **لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث**، دار المريخ، الرياض، 1970، د.ت، د.ط، ص153.

[4]- عثمان منادي: مظاهر الحياة العلمية، المرجع السابق، ص 13.

[5]- أرنولد توماس : المرجع السابق، ص349.

مصر المملوكي الناصر محمد بن قلاوون كانت تكتب بهذه اللغة، كما كان الخط العربي الموجود في هذه البلاد هو الخط المغربي.[1]

فقد تأثرت طريقة الكتابة عند أهالي السودان الغربي بما هو معروف عند المغاربة في الهندسة وتقوسها والخط والأعاجم أي الحروف وترتيبها. ويظهر ذلك فيما تحفل به جدران المساجد من الخطوط المختلفة وما يتجلى به رسوم آيات قرآنية حيث أن النقوش التي وجدت بها كان يستخدم فيها الخط الكوفي والخطوط الهندسية في كتابة هذه الآيات.[2] ودليل شيوع اللغة العربية تلك الكتب التي أرخت لتاريخ السودان الغربي من طرف العديد من الفقهاء والكتاب والمؤرخين مثل تاريخ الفتاش لمحمود كعت، وتاريخ السودان للسعدي، ونيل الإبتهاج لأحمد بابا التمبكتي، وفتح الشكور في علماء التكرور للبرتلي وغيرها من المؤلفات التي كانت مخطوطاتها كلها مكتوبة باللغة العربية.[3]

ونستنتج من ذلك أن اللغة العربية أصبحت في الممالك السودانية لغة الدين والثقافة والحياة الإدارية، وأصبح الحرف العربي هو الذي تكتب به اللغات الإفريقية، فجميع المعارف كانت تدرس وتستوعب باللغة العربية .

---

[1]– سحر عنتر : المرجع السابق، ص ص79–80–81.

[2]– سعد غيث مطير: الثقافة العربية الإسلامية، ص177–178.

[3]– عثمان منادي: مظاهر الحياة العلمية، المرجع السابق، ص15.

الفصل الثاني:

المؤسسات الثقافية والعلمية في حاضرة تمبكتو

الفصل الثاني: المؤسسات الثقافية والعلمية في حاضرة تمبكتو.

تمهيد:

لقد كانت حاضرة تمبكتو تضم ثلاث مساجد هامة، وهي المسجد الكبير ومسجد سنكري ومسجد سيدي يحي. وهذه المساجد أصبحت بمثابة جامعات ومعاهد تعليمية كبرى ومراكز ثقافية وتربوية، بحيث تخرج منها العديد من القضاة والعلماء والأدباء والمؤرخون. بالإضافة إلى بعض الجوامع الأخرى والتي لا يخفى دورها في ترسيخ الإسلام والثقافة العربية في هذه الحاضرة.

كما لاحظ المؤرخون الرحالة نمو الحياة الثقافية بشكل عام في منطقة السودان الغربي، إذ أشار إبن بطوطة بأن السودانيين كانوا يولون أهمية كبيرة لتعليم أطفالهم وإرسالهم إلى الكتاتيب وإجتهادهم في ذلك.[1]وقد أحصي في القرن 10هـ 16م، في مدينة تمبكتو لوحدها ما يقارب 180 كتابا لتعليم الصغار. بالإضافة إلى المساجد والمنازل الخاصة، والتي كانت تشكل تجمعات علمية أقيمت بها حلقات للدرس والمناظرة[2] بحيث شهدت تدريس العديد من العلوم النقلية منها والعقلية.

المبحث الأول: مساجد مدينة تمبكتو:

المطلب الأول: الجامع الكبير:[3]

ويطلق أيضا على هذا الجامع إسم "جنكري بيرا "،[4]أي المسجد الكبير. ويعتبر من أكبر الجوامع في المدينة، لا يزال هو الوحيد الذي تؤدى فيه صلاة الجمعة من بقية جوامع ومساجد تمبكتو.[5] وقد أوردت المصادر التاريخية أنه تأسس على يد سلطان مالي الحاج منسى موسى

---

[1]– إبن بطوطة : المصدر السابق، ص 790.

[2]– مبخوث بوداوية : **العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان،** (أطروحة دكتوراه)، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1426–1427هـ/2005– 2006م، ص ص 192–193.

[3]– أنظر: الملحق رقم 4.

[4]– الأرواني : السعادة الأبدية، المصدر السابق، ص 71.

[5]– سعد غيث مطير : تنبكت نشأتها، المرجع السابق، ص 112.

بعد عودته من رحلة الحج الشهيرة أوائل القرن 8هـ-14م،[1] وقد كلف لهذه المهمة المهندس والشاعر أبو إسحاق الساحلي، وعبد الله الكومي الغدامسي الليبي الذي حضر معه من رحلته المشرقية.[2]

لكن الرواية الشفوية ترى أن هذا الجامع أسس قبل ذلك الوقت، وأن الملك منسى موسى قام بإعادة بناءه وتوسيعه فقط، إذ أخذ شكله الطراز المغربي الإسلامي، وبنى صومعته على 5صفوف.[3] وألحقت به من جهة اليمين القبور، وهي عادة عند أهل إفريقيا فيما وراء الصحراء فهم يدفنون موتاهم في رحاب مساجدهم.[4]

وقد جدد هذا المسجد على يد القاضي العاقب بن محمود في سنة 977هـ-1569م، بغرض إستيعاب أكبر عدد ممكن من المصليين المتوافدين عليه . وقد إستكمل السلطان أسكيا داوود توسيعه بمساهمة مادية، إذ أرسل أربعة آلاف خشبة من شجر كنكو لإنجاز العمل، إذ إكتمل بناءه في نفس السنة.[5]

ولقد تعاقب على هذا المسجد عدد من الأئمة حتى القرن 11هـ-17م، وكان أولهم القاضي كاتب موسى الذي تولى الإمامة فيه لمدة 40عاما، ثم إرتحل إلى مدينة فاس للتزود من ينابيع العلم وترك منصب الإمامة.[6]ثم خلفه في ذلك سيدي عبد الله البلبالي وذلك في بداية حكم مملكة سنغاي لتمبكتو، وهو أول عربي يتولى إمامة المسجد الكبير في عهد الملك سني علي، إذ حظي بإحترام كبير من قبل هذا الأخير لجلالة منزلته وعلمه، وظل في إمامته حتى وافته المنية[7].

---

[1]- الأرواني : السعادة الأبدية، المصدر السابق، ص 71.

[2]- نفسه.

[3]- سعد غيث مطير: تنبكت نشأتها، المرجع السابق، ص 112.

[4]- السعدي: المصدر السابق، ص 56.

[5]- الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري، المرجع السابق، ص 153.

[6]- نفس المرجع، ص 154.

[7]- سعد غيث مطير : تنبكت نشأتها، المرجع السابق، ص113.

ليتولى من بعده الإمام سيدي أبو القاسم التواتي إمامة المسجد، إذ كان يقطن بالقرب منه، عرف بالزهد والصلاح، توفي سنة 935هـ-1528م.[1]ثم تولى الإمامة بعده الإمام عثمان بن الحسن التشيتي،[2]ثم بعده الفقيه إبراهيم الزلفي الذي عاش سنة 1020هـ-1611م.[3] ليأتي من بعده الإمام عبد السلام بن محمد دك الفلاني، ومكث في إمامته 4سنوات إلى غاية 1035هـ-1625م. إذ كما تولى الإمام سيد علي بن عبد الله بن الإمام سيد علي الجزولي، وإستمر في الإمامة ستة عشرة سنة وسبعة أشهر، وتوفي سنة 1052هـ-1642م.[4] إضافة إلى الإمام محمد الوديعة بن الإمام محمد سعيد بن الإمام محمد كداد الفلاني، الذي كان إماما للمسجد الكبير زمن المؤرخ عبد الرحمان السعدي.[5]

المطلب الثاني : جامع سنكري أو سنكوري:[6]

حسب ما أورده السعدي فإن بناء المسجد يعود إلى إمرأة أغلالية ذات مال كثير في أفعال البر تدعى فاطمة بنت أحمد الأغلالي.[7] أما محمود كعت يورد أن المسجد أعيد بناؤه من طرف أحد قضاة تمبكتو وهو القاضي العاقب أقيت، وذلك عام 989هـ-1581م، بعد عودته مباشرة من رحلة الحج، لأنه أخذ قياساته على نفس أبعاد الكعبة الشريفة، فعندما أراد الشروع في عملية بناءه أخرج الحبل الذي إكتال به.[8]

لكن الأرواني يورد في كتابه السعادة الأبدية أن مسجد سنكري بني في القرن العاشر الهجري.[9]ومن خلال هذه الآراء المختلفة فإن أقرب رأي هو الرأي الأول الذي يقول أن المسجد

---

[1]- السعدي: المصدر السابق، ص59.

[2]- البرتلي: المصدر السابق، ص ص190-191.

[3]- السعدي: المصدر السابق، ص59.

[4]- نفسه، ص ص241-243.

[5]- الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري، المرجع السابق، ص155.

[6]- أنظر: الملحق رقم 5.

[7]- السعدي: المصدر السابق، ص62.

[8]- محمود كعت: المصدر السابق، ص121.

[9]- الأرواني: السعادة الأبدية، المصدر السابق، ص73.

كان سابقا للقرن العاشر الهجري، وذلك بإعتباره أنه كان موجودا في النصف الثاني من القرن 9هـ-15م، إذ أن هذه الفترة تزامن حكم سني علي الذي هاجم مدينة تمبكتو، وعلى إثر هذه الحادثة قام سلطان الطوارق بترحيل علماء مسجد سنكري خارجها.[1]

هذا الجامع مع مرور الوقت أصبح أول جامعة تعليمية في إفريقيا جنوب الصحراء، تقع منطقته قرب حي المغتربين النازحين من منطقة ولاتة وجنى، خاصة والمناطق الصحراوية النائية، فهو يتمركز في الجزء الشمالي للمدينة،[2] به بابين من الجهة الجنوبية وباب واحد من الجهة الشمالية، ويقدر طوله ب120قدما(39،6متر)، وعرضه 80 قدما (26،4متر).[3]

أما بخصوص معنى إسم سنكري فنجد أنه في اللغة السودانية معناه السيدة البيضاء، أي أن المسجد سمي على السيدة الأغلالية القاطنة في منطقة الشمال الإفريقي وتحديدا قبيلة الأغلال.[4] والجدير بالذكر أن مسجد سنكري قد أصبح مركزا للدراسة الجامعية التي تقوم على العلوم الدينية والشريعة وفقه اللغة.[5]

وقد بلغ هذا الجامع أوج إزدهاره في عهد إمبراطورية سنغاي زمن الأسكيا الحاج محمد الكبير، وذاع صيته لما بلغه من مستوى علمي رفيع. وقد إنفتح على العديد من مراكز التعليم في الأندلس وشمال إفريقيا في فاس ومراكش وبجاية وتلمسان وطرابلس وغيرها من مراكز الحضارة، وقد كان يشبه إلى حد كبير جامع القروين بفاس في التدريس وأساليبه في المناهج التي كانت تدرس هناك.[6]

---

[1]- سعد غيث مطير: الثقافة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص194.

[2]- عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص24.

[3]- عبد الحميد جنيدي: "الحياة الثقافية في مدينة تنبكت(تمبكتو) في القرن 10هـ-16م"، **مجلة دراسات وأبحاث**، مج 4، ع 6، الجزائر، ص204.

[4]- سعد غيث مطير: الثقافة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص195.

[5]- عطية مخزوم الفيتوري: **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء لمرحلة إنتشار الإسلام**، دار الكتب الوطنية، ط1، بنغازي، 1998، ص292.

[6]- مبخوث بوداوية: المرجع السابق، ص ص192-193.

أما عن الإمامة في هذا المسجد ففي كثير من الأوقات أسندت لعلماء مغاربة، خاصة في الفترة الأولى من إنتشار الإسلام في مملكة مالي ومنهم عبد الرحمان البلبالي، أبو القاسم التواتي ومنصور الفزاني.[1]ونذكر أهم رجالات هذه الجامعة من الفقهاء والشيوخ أبرزهم الفقيه محمود بن عمر آقيت (868-955هـ/1463-1548م)، والذي تولى إمامة المسجد ما بين (904-955هـ/1498-1548م).[2] ثم خلفه إبنه الفقيه عبد الرحمان الذي إستمر في الإمامة إلى غاية 1002هـ-1593م.[3]و في سنة 1036هـ-1637م آل منصب الإمامة إلى الفقيه عبد الرحمان السعدي لغاية وفاته عام 1066هـ-1655م.[4]

المطلب الثالث : جامع سيدي يحي وآخرون:

1- جامع سيدي يحي:[5]

يرى بعض المؤرخين أنه أقدم جوامع مدينة تمبكتو حيث أسس من قبل أول دولة للطوارق حكمت تمبكتو حوالي القرن 5هجري 11ميلادي.[6] لكن الروايات الشفوية تقول أن هذا المسجد شيد على ضريح رجل من العلماء الصالحين، الذي قدم من المغرب الأقصى لنشر تعاليم الدين الإسلامي.[7]

وقد جدد بناءه محمد نض نض بعد أن تولى حكم مدينة تمبكتو. وقد حرص على بناءه بطراز مغربي إسلامي عين له إماما يدعى الشيخ سيدي يحي التادلسي تبركا بالولي الصالح سيدي يحي، وبقي هذا الأخير في إمامته إلى أن توفي سنة 868هـ-1463م.[8]

---

[1]- عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السابق، ص 292.

[2]- السعدي: المصدر السابق، ص 29.

[3]- نفسه، ص63.

[4]- الأرواني : السعادة الأبدية، المصدر السابق، ص 132-133.

[5]- أنظر: الملحق رقم 6.

[6]- الأرواني: السعادة الأبدية، المصدر السابق، ص99.

[7]- نفسه، ص73.

[8]- الهادي مبروك الدالي : التاريخ الحضاري، المرجع السابق، ص155.

وبعد ذلك قام القاضي العاقب بن محمود أقيت بتجديده وتوسيعه وأضاف له العديد من التعديلات سنة 976هـ-1568م[1]. وقد تولى إمامته مجموعة من الفقهاء أبرزهم الإمام محمد بغيغ والإمام محمود بن محمد الونكري الذي توفي عام 1018هـ-1609م[2]. ثم الإمام أحمد بن سعيد، ليخلفه الإمام محمد بن أحمد الذي كان فقيها صالحا عابدا، وقد ظل على إمامته حتى وفاته سنة 1060هـ-1650م.[3]

2- مسجد الهنا:

شيد هذا المسجد من قبل القاضي العاقب بن محمود أقيت سنة 949هـ-1542م. ولكنه سقط على مرتاديه للصلاة وحفظ القرآن الكريم.[4]

3- مسجد التواتيين:

تم بناؤه من قبل محمد بن علي التواتي الذي قدم من مدينة توات سنة 920هـ- 1544مع جماعة من التواتيين. والأمر الذي دفعهم إلى بناء المسجد لآداء الصلاة راجع إلى الخلافات التي حدثت بينهم وبين علماء تمبكتو، فإتخذ هذا المسجد من قبل هذه الجماعة للعبادة والتدريس.[5]

وكانت الجماعة التواتية عبر تاريخها الزاهر من أنشط الجماعات التي سكنت الصحراء، فقد قاموا بنقل ما عندهم من علوم ومعارف إلى مناطق السودان الغربي عن طريق التدريس والإمامة والوعظ والإرشاد بالمساجد عامة ومسجد التواتيين خاصة. ولقد تولى التدريس بهذا المسجد عدد من الأئمة من بينهم الفقيه محمد الزغراني التمبكتي.[6]

---

[1]- سعد غيث مطير: الثقافة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص197.

[2]- السعدي : المصدر السابق، ص22.

[3]- الأرواني : السعادة الأبدية، المصدر السابق، ص72.

[4]- نفسه، ص74.

[5]- الهادي مبروك الدالي : التاريخ الحضاري، المرجع السابق، ص ص156-157.

[6]- عبد الحميد الجنيدي: الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص205.

4-مسجد أسكيا الحاج محمد:

يعد من أكبر المساجد بالمدينة يتميز بصومعته الطويلة، وقد إعتنى به الأسكيا محمد وجعله مؤسسة تعليمية بالإظافة إلى دور العبادة. وهو مبني بالطين ومسقوف بالخشب، ويختلف طرازه المعماري عن المساجد الأخرى في تمبكتو، فالمئذنة مفصولة عن المسجد ومكان الصلاة عبارة عن بناء طويل.[1]

5- مسجد محمد الفزاني :

لقد بني هذا المسجد من قبل التاجر الليبي محمد الفزاني القادم من بلدة فزان بليبيا في القرن 10هـ-16م فكانت وظيفته العلم والعبادة، وقد كان يختلف عن سابقيه من المساجد، حيث إنفرد بشكله الهندسي الداخلي. ومن بين الأئمة الذين أشرفوا عليه الشيخ عثمان بن أبي بكر الحضيري الفزاني عام 1009هـ-1600م.

وهناك مساجد أخرى بنيت من قبل الأسكيا داوود في عدد من المقاطعات، نجد أبرزها: مسجد الملك الوتر، مسجد الحاج قطب، مسجد أسد أراغوا، مسجد وهاب، مسجد طرندك، مسجد حلصو، مسجد بور، مسجد غون، مسجد دار السلام، وغيرها الكثير. والملاحظ أن جزءا من هذه المساجد قدمها الأسكيا محمد وأولاده إلى أشخاص تابعين لهم ولذلك حملت أسماءهم.[2]

المبحث الثاني : الكتاتيب والمدارس:

المطلب الأول : مراحل التعليم ومناهجه:

1-المرحلة الإبتدائية والثانوية:

عرفت حاضرة تمبكتو كسائر حواضر السودان الغربي نشاطا فيما يخص حركة التدريس، وقد ضمت مدارسها العديد من التلاميذ والطلاب والأساتذة، وقد كان التعليم فيها يبدأ بالمرحلة الإبتدائية ثم الثانوية.

---

[1]- مبخوث بوداوية: المرجع السابق، ص ص196-197.

[2]- نفسه، ص ص197-198.

ففي المراحل الأولى من التعليم، كان السودانيون يرتادون الكتاتيب لحفظ القرآن، وإختلفت تسميتها في غرب إفريقيا بإختلاف قبائلها، فقبائل الولوف تطلق عليها إسم "دارا" والماندينغ يسمونها "كارا"، أما قبائل التكرور فيسمونها "ديالاجالنتي"[1].

والإلتحاق بالكتاتيب هي المرحلة الأولى من التعليم، فعندما يصل عمر الصبي إلى السابعة أو ما دونها يعهد به أبوه إلى معلمي الصبيان ويجبرونهم على الدوام كما يراقبون مدى إستيعابهم[2]. فيبدؤون بتعلم الهجاء والقراءة والكتابة وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم عن ظهر قلب، فيطالب التلميذ بكتابة هذا الجزء وقراءته، وهكذا دواليه حتى يتم القرآن. وتستغرق هذه المرحلة حوالي 3سنين أو حسب مقدرته العقلية، إذ ربما تستغرق أكثر من ذلك.[3]

وكانت المدارس تفتح صباحا نحو 3ساعات بعد الظهر، والمساء بنحو 9ساعات، والأطفال يتوجهون بإستمرار وبالتناوب إلى المدرسة في ساعات مختلفة من اليوم، ومن حفظ القرآن يعتبر قد أنهى دراسته. أما عن طريقة التدريس فقد كان الأطفال يلتفون حول مدرسهم وهو يمثل ناضر المدرسة في الكتاب فينصتون إليه، إذ كان هذا منظرا جميلا لنواة المجتمع العلمي.[4] هناك إشارات عدة إلى كثرة الكتاتيب والتلاميذ على حد السواء، فحسب ما أورده محمود كعت كانت مدارس الصبيان ما بين مائة وخمسين ومائة وثمانين مكتبا، وبلغ عدد التلاميذ في مدينة تمبكتو أكثر من مائة وثلاثة وعشرون تلميذا.[5]

---

[1]– عبد القادر زبادية: **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا جنوب الصحراء**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت، د.ط، ص ص62–63.

[2]– عبد الحميد جنيدي: الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص206.

[3]– مهدي رزق الله أحمد: **حركة التجارة والإسلام والتعليم في غرب إفريقيا**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، الرياض، 1998، ص641.

[4]– عبد الحميد جنيدي: الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص ص206–207.

[5]– محمود كعت: المصدر السابق، ص180.

أما المرحلة الثانوية فهي مرحلة تعليمية أرقى من سابقتها، وتتم في الزاوية أو المسجد ولم تكن محددة بسن معين، فهي متاحة لجميع من إستكمل دراسته في المرحلة الأولى بنجاح، ويتولى التعليم فيها مدرسين وعلماء أكفاء في مختلف المواد الدراسية.[1]

كما كان التعليم في هذه المرحلة حرا، يرتبط بظروف العائلة واهتمامها بأبنائها وتحصيلهم العلمي، ودليل ذلك ما أورده ابن بطوطة حول عناية أهل السودان بتحفيظ أبنائهم القرآن الكريم إذ يقول: "ودخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون فقلت له، إلا تسرحهم فقال لا أفعل حتى يحفظو القرآن".[2]فكان طالب العلم في هذه المرحلة يخضع لدروس اللغة والمبادئ الأولى في العلوم الشرعية والمنطق والحساب، فكان يتدرج من دراسة المؤلفات البسيطة إلى دراسة المؤلفات المفصلة مع شرحها وحواشيها .[3]

2-التعليم العالي:

هي مرحلة متقدمة من السلم التعليمي، حيث عرفت مدينة تمبكتو إحتضانها لهذا النوع من التعليم من خلال جامعتها "سنكري"، والتي كانت مقرا للتدريس بالإضافة إلى بعض المساجد والزوايا.[4] فقد كان الطالب يلتحق بأحد مشاهير علماء المنطقة أو يرتحل إلى الحواضر العربية، فيدرس في مرحلته الأخيرة القراءات والتفسير والحديث وعلوم أخرى كالفلك والجغرافيا والحساب. حيث يعتبر المذهب المالكي طابع الدراسات والبرامج الدراسية فهو السائد في منطقة السودان الغربي كافة.[5]

تتميز الدراسة في مرحلة التعليم العالي بالعمق، وإعتمد منهج واضح يغلب عليه مذهب مالك، حتى تتكون لدى الطالب ثروة لغوية وفكرية، وكان التسلسل في المناهج وفي برامجهم

---

[1]- عثمان منادي: مظاهر الحياة العلمية، المرجع السابق، ص23.

[2]- إبن بطوطة: المصدر السابق، ص 691.

[3]- مبخوث بوداوية: المرجع السابق، ص 203.

[4]- رياض بن الشيخ الحسين: "أثر الثقافة العربية الإسلامية في إكتساب العربية وآدابها في السودان الغربي"، **مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية**، مج 33، ع1، قسنطينة، الجزائر، 2019، ص445.

[5]- عثمان منادي: مظاهر الحياة العلمية، المرجع السابق، ص 25.

صفة علماء إفريقيا عامة. أما أوقات الدراسة فكانت تستغرق النهار كله، ولا تتوقف إلا في أوقات الصلاة، وكان بعض الأساتذة يدرسون حتى في جزء من الليل. وكان الطلبة يجتمعون حول الأستاذ الذي يشرح الدروس ويناقشها معهم. وكان صبر الأستاذ على تفهيم طلبته يعتبر من صفات الأساتذة الناجحين في مهنتهم، وملتزمين جدا لواجباتهم.[1]

وكانت الطريقة الشائعة في التدريس هي أن يبدأ الأستاذ بإملاء رأيه في المسائل على طلبته، وبعدها يقرأ الطلاب درسهم من الكتاب المقرر بحضور الأستاذ، ثم يطلب كل منهم توضيح ما يشكل عليه، وأثناء ذلك يقيد الطلبة التفاسير التي يعطيها الأستاذ كجواب على تلك الإستفسارات.[2] أما عن مدة الدراسة فإنها تستغرق 10سنوات كاملة تترتب على الحالة المادية للطالب، ولذلك كان الطلبة المتمكنين ماديا وحدهم يلتحقون بالمعاهد العليا لمواصلة تكوينهم العالي.[3]

3- الإجازات العلمية:

عرف المدرسون والطلاب في مدينة تمبكتو نظام الشهادات لما عرفته البلاد الإسلامية الأخرى، بما أن طلب العلم كان يتصف بالحرية التامة فيما يتصل بالطلاب، فإنه يبدو أن الأساتذة أيضا كانوا لا يجيزون الطلاب إلا بعد التأكد من تمكنهم في المواد التي يدرسونها لهم.[4] فكانت هناك شهادات خاصة تختص بالقرآن الكريم والحديث أي خاصة بالثقافة الإسلامية البحتة. وهناك شهادات عامة تشمل عدة مواد أو فنون أو مهارات بجانب العلوم الدينية، وكلتاهما مطلوبة في مدينة تمبكتو.[5] ولقد وجدت ثلاث درجات للإجازة هي :

- شهادة السماع : وتعني أن الطالب تتبع أقوال العالم وحفظها.

---

[1]- عبد الحميد جنيدي: الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص 207

[2]- عبد الحميد جنيدي: نفس المرجع، ص ص207-208.

[3]- مبخوث بوداوية: المرجع السابق، ص 204.

[4]- عبد القادر زبادية: "حركة التعليم في تمبكتو في بلاد التكرور خلال القرن 16م ودور الأوقاف في إزدهارها"، **دعوة الحق**، ع 230، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، أوت1993، ص46.

[5]- عبد الحميد جنيدي: الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص208.

- شهادة العرض: أي سرد الطالب على أستاذه مع إستذكاره للنصوص ومعرفة شروحها.
- الإجازة الكاملة: وهي أن يصل الطالب إلى المرحلة التي يستطيع فيها ذكر الأسانيد وإرجاعها إلى مصدرها الأول، وذكر الفوارق في الروايات بعد الإلمام بفن معين من الفنون.[1]

كما كانت الشهادات تعطى فردية، بمعنى أن الطالب يستطيع الحصول على شهادة من الأستاذ في المواد التي يتقنها ذلك الأستاذ ويتعاطى تدريسها، ولكنه يبقى طالبا في مواد أخرى. وبناءا على هذا فإن هذه الشهادات كانت في شكل إنطباع يسجله الأستاذ على مذكرات الطالب في مادة أو أكثر، بعد أن يكون هذا الأخير قد إطلع على كل المؤلفات الكبيرة والصغيرة في موضوعها، وإيجاد تحصيل المعلومات الموجودة بها.[2]

وكانت تلك الشهادات تعطى عادة في حفل كبير وأحيانا يسلم لهم عمائم دليلا على أنهم أصبحوا من العلماء. وهذه الشهادات تؤهله لأن يعمل بإلقاء الخطب أو الإمامة، أو يعمل كمساعد للقاضي أو نائبا له، أو كاتبا في مصلحة حكومية أو نسخ الكتب، أو معلم، وقد ينتهي بالعمل في القضاء وتولي مهامه.[3]

يقول الفقيه أحمد بابا التمبكتي على أحد الأساتذة الذين أجازوه: "حضرت أنا عليه أشياء عدة وأجازني في جميع ما يجوز له وعنه وكتب لي بخط يده".[4] أما عن المؤرخ عبد

---

[1]– محمد حمد كنان ميغا: "مظاهر الثقافة الإسلامية العربية في تمبكتو وغاو وجني في عهد الأساكي"، **مجلة قراءات إفريقية**، ع 3، ديسمبر 2008، ص32.

[2]– عبد القادر زبادية: حركة التعليم، المرجع السابق، ص46.

[3]– عبد الحميد جنيدي: الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص208.

[4]– أحمد بابا التمبكتي : **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**، تح: علي عمر، جزءان، مكتبة الثقافة الدينية، ج1، ط1، القاهرة، 1423هـ-1964م، ص79.

الرحمان السعدي فيقول عن أستاذه : "باحثته كثيرا في المشكلات وراجعته في المهمات وبالجملة فهو شيخي وأستاذي ما نفعني أحد كنفعه وبكتبه وأجازني به جميع ما يجوز له وعنه".[1]

4-التعليم المهني:

لا يوجد في كتابات المؤرخين في تلك الفترة ما يشير إلى وجود تعليم مهني منظم في مدينة تمبكتو إلا في ميدان الخياطة،[2]هذا بالرغم من وجود دكاكين يبدو أنها كانت عديدة ومتنوعة يشغلها أصحاب الحرف المختلفة في تلك المدينة.

أما في ميدان الخياطة، فإنه يبدو أن المدينة كان بها تعليم منظم إلى حد ما وكان طلابه كثيرين، فقد ذكر محمود كعت أنه كان يوجد بها حوالي ستة وعشرون بيتا من بيوت الخياطين وكلها من النوع المتخصص في تعليم مهنة الخياطة، وكانت تسمى باللهجة المحلية "تند" بكسر الأول والأخير سكون الوسط.[3]

وكان كل بيت من هذه البيوت يتراوح عدد الطلبة فيه بين خمسين إلى سبعين طالبا، ويتولى التدريس في كل منها معلمون متخصصون في تعليم تلك المهنة، يدعى كل واحد منهم الشيخ الرئيس.[4]وبإعتبار أن مدينة تمبكتو كانت كثيرا ما تقلد المغاربة نجد أنهم ربما كانوا يدخلون تلك المدارس المهنية ليشتغلوا بدون أجرة وذلك حتى يتقنوا الحرفة ويحترفونها، أما قبل الوصول إلى هذه الغاية فإن أجورهم إنما تقابل في العادة بما يتعلمونه مجانا.[5]

المطلب الثاني: أهم المدارس الموجودة في مدينة تمبكتو:

1- معهد سنكري:

يقع هذا المعهد في حي سنكري إلى جانب المسجد الكبير، حيث ألحقت حجرات المعهد الدراسية بالمسجد، وتعددت هذه الغرف حيث خصص لكل معلم مع تلاميذه غرفة يدرسون

---

[1]- السعدي: المصدر السابق، ص46.

[2]- محمود كعت: المصدر السابق، ص179.

[3]- عبد القادر زبادية: حركة التعليم، المرجع السابق، ص47.

[4]- محمود كعت: المصدر السابق، ص 180.

[5]- عبد القادر زبادية: حركة التعليم، المرجع السابق، ص47.

فيها، لها باب نحو ساحة المسجد ليتوجهوا منه إلى قاعة الصلاة، وآخر نحو الخارج لينصرفوا منه بعد الدرس. ويرجع تاريخ تأسيسه إلى القرن 8هـ-14م.[1]

2- مدرسة القاضي محمد بن عمر:

وقد أسسها هذا القاضي في تمبكتو، إشتهرت بنشاطها العلمي حيث تخرج منها معظم مشاهير علماء تمبكتو، كالقاضي أحمد بن أحمد بن عمر أقيت، وأبناء القاضي محمود القاضي العاقب بن محمود ومحمد بن محمود أقيت، إضافة إلى الفقيه محمد بن محمود بغيغ. وقد إشتهرت بتعليمها الفقه والتفسير.[2]

3- مدرسة كلسخ:

بنيت بأمر من القاضي محمود بن عمر أقيت، وكان يدرس فيها التفسير وعلومه والأحاديث النبوية، إظافة إلى إتخاذها كمكان للإجتماعات وقراءة أشعار المديح في المناسبات الدينية، كليلة القدر والمولد النبوي الشريف وليالي الأعياد.[3]

4- مدرسة الفقيه أبو بكر بن أحمد أقيت ت991هـ:

وقد إشتهرت بتخصصها في النحو واللغة، فذاع صيتها وتخرج منها الكثير من العلماء الأجلاء مثل أحمد بابا التمبكتي، والقاضي محمد بن أحمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر ت(1017هـ)، والقاضي محمد بن أندغ محمد ت1020هـ، والقاضي محمد الأمين بن القاضي محمد توفي سنة 1020هـ.[4]

5- مدرسة القاضي مودب بكر الكابري:

وقد أسسها هذا القاضي في حي سنكري قرب مسجد سنكري. ويعتبر القاضي مودب بكر الكابري من الشيوخ الأوائل الذين قاموا بتأسيس المدارس في تمبكتو، حيث بلغت شهرته

---

[1]- محمد ألفا جالو: **الحياة العلمية في دولة سنغاي خلال الفترة 842-1000هـ/1464-1591م**، (مذكرة ماجستير)، الحضارة والنظم الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،1413هـ/1993م، ص170.

[2]- محمد ألفا جالو: المرجع السابق، ص171.

[3]- كلسخ: تعني منبع العلم، ولا يزال معظم علماء تمبكتو ينتسبون إلى هذا المكان وهو يقع في قلب المدينة، أنظر: محمد ألفا جالو: المرجع السابق، ص172.

[4]- محمد حمد كنان ميغا: المرجع السابق، ص31.

الآفاق وقصده الطلاب من كل جهات بلاد السودان الغربي، منهم الفقيه يحي التادلسي، والفقيه عمر بن أحمد أقيت والفقيه أبي بكر بن محمد أقيت السالف الذكر. وقد إشتهرت هذه المدرسة بتخصصها في الفقه واللغويات وكذا التفسير وعلوم الحديث.[1]

6- مدرسة ألفع محمود بن الحاج المتوكل الجد:

كانت هذه المرسة رائدة في دراسة السير والتراجم والتاريخ. وقد تخرج من هذه المدرسة القاضي محمود كعت صاحب الفتاش[2]والذي أصبح مشرفا عليها، وكذلك الفقيه باباكور بن الحاج محمد بن الأمين صاحب كتابين في تاريخ السودان هما دور الحسان في أخبار بعض ملوك السودان وجواهر الحسان، وقد تخرج من هذه المدرسة العديد من العلماء كإبني القاضي محمود كعت، الفقيه إسماعيل كعت والفقيه يوسف كعت، إظافة إلى حفيده إبن إبنته الفقيه إبن المختار الذي أكمل كتابه بعده.[3]

7- مدرسة المختار بن عمر النحوي:

تعتبر من أبرز المدارس التي تخصصت في النحو وقد أسسها الشيخ المختار لتضلعه في علم النحو، حتى إنه أصبح إسما لصيقا به، وقد تخرج منها فطاحلة العلماء في تمبكتو خاصة وبلاد السودان الغربي عامة. منهم أخوه عبد الرحمان بن عمر الذي كان من الفقهاء والنحويين المتخصصين، إضافة إلى إبنيه أبو عبد الله أندغ محمد بن المختار النحوي الذي تقلد منصب إمام مسجد سنكري، ثم إبنيه أبو عبد الله محمد بن المختار النحوي، ثم أخيه المختار بن أندغ محمد بن الفقيه المختار النحوي، والذي تضلع في اللغة العربية وكثرة مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم.[4]

---

[1]- محمد مولاي: المرجع السابق، ص294.

[2]- محمد حمد كنان ميغا: المرجع السابق، ص31.

[3]- محمد مولاي: المرجع السابق، ص295.

[4]- سعد غيث مطير: الثقافة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص250.

المطلب الثالث: الكتب والمكتبات في مدينة تمبكتو:

لقد عرفت بلاد السودان الغربي كافة رواج تجارة الكتب، وكانت مدينة تمبكتو سوقا لها. فكانت مناطق تصديرها الرئيسية المغرب، الحجاز ومصر، وهذا ما أدى إلى إنتشار المكتبات التي كانت مملوءة بالكتب القيمة والعالية الثمن والعظيمة الفائدة. فكان أهل تمبكتو يقبلون عليها ويجمعونها في تلك المكتبات، خاصة مع ظهور حرفة الوراقين وتأليف الكتب وذلك على نمط ما كان في مصر والمغرب الأقصى. ونتيجة لإقبال الحكام والعلماء على إقتناء الكتب، تمكن التجار من الحصول على أموال طائلة في بيع هذه السلعة.[1]

ويعتبر الأسكيا داوود أول من إتخذ خزائن الكتب وله نساخ ينسخونها وربما يهادي بها العلماء.[2] وقد حذا حذوه الفقهاء والعلماء والناس، وأصبح بعضهم يقتني الأعداد الوفيرة من مختلف الكتب، حتى إن أحدهم أصبح عنده ما يقارب سبعة آلاف كتاب ما بين منسوخ ومشترى في خزانته.[3] حيث كانت تدور بالمدينة حركة نسخ نشطة من أجل تمكين الراغبين في العلم من الحصول على حاجتهم من الكتب. إذ يقوم متطوعون وهم عادة من طلبة جامعة سنكري بإعادة نسخ ما يحصلون عليه من الكتب بالخط العربي ثم يبيعون تلك النسخ لمن يريدون وتبقى النسخة الأصلية عندهم.[4]

وكانت عملية التبادل والإعارة سائدة ومشهورة في حواضر الغرب الإفريقي إذ يروي السعدي أن الطالب يقصد العالم يطلب كتبا فيعطيها له من غير معرفة.[5]وكانت بمدينة تمبكتو مكتبة ضخمة يلتقي فيها العلماء أثناء إقامتهم أو عبورهم من مختلف مناطق السودان الغربي

---

[1]– الهادي مبروك الدالي: **التاريخ السياسي والإقتصادي لإفريقيا ما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1420هـ– 1999م، ص329–330.

[2]– محمود كعت: المصدر السابق، ص 135.

[3]– محمد مولاي: المرجع السابق، ص310.

[4]– علي محمد عبد اللطيف : المرجع السابق، ص93.

[5]– السعدي : المصدر السابق، ص51.

بإتجاه الحج لبيت الله الحرام، حيث كانت قوافل الحجيج تتجمع في المدينة قبل أن تأخذ طريقها عبر الصحراء الكبرى .[1]

كما نجد أن كل الأسر الكبيرة في تمبكتو قد إمتلكت مكتبة ضخمة عامرة بأمهات الكتب والتي يحفظونها في غرف مغلقة في منازلهم، ومن تلك الأسر نجد أسرة أبو العرف التي تمتلك الكثير من الكتب، كما نجد من بين المكتبات الكبرى المشهورة في المدينة مكتبة الكوتي الأندلسية والتي يعود تاريخ تأسيسها إلى عام 872هـ-1468م.[2]

ومن الأسر التي إمتلكت مكتبات نجد أسرة آل أقيت وعلى رأسهم القاضي أحمد بن أحمد بن عمر أقيت، والذي إهتم بجمع الكتب الثمينة والنفيسة وعمل على إستنساخها حتى تكونت له ثروة ضخمة زاخرة بأمهات الكتب. إذ يقال أنه كان وافر الخزانة العلمية سموحا بإعارتها وكانت له مكتبة كبيرة ترك فيها أكثر من سبعة مئة مجلد ورثها أبناءه من بعده.[3]كما تعتبر مكتبة الفقيه والقاضي أحمد بابا التمبكتي من أشهر المكتبات في بلاد السودان الغربي فقد كان له 700كتابا في مختلف العلوم والفنون، وكانت مكتبته تحتوي على 1600عنوان.[4]

أما أسرة آل بغيغ فنجد القاضي محمود بن أبي بكر له مكتبة عظيمة وغنية بأمهات الكتب ورثها عنه إبنيه الفقيه أحمد والقاضي محمد، هذا الأخير الذي اعتبرت مكتبته من بين المكتبات الخاصة في تمبكتو، وقد جمع فيها معظم أمهات الكتب وكان يسمح بإعارة الكتب حبا في نشر العلم.[5]

في حين نجد أن أسرة كعت قد توارثت مكتبة جدها ألفع كعت الجد الذي توفي وترك مكتبة غنية بأمهات الكتب نهل منها كل من القاضي محمود كعت وإبنيه الفقيهين يوسف

---

[1]- علي محمد عبد اللطيف : المرجع السابق، ص102.

[2]- عبد الحميد جنيدي: الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص209-210.

[3]- أحمد بابا التمبكتي : كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج2، ص13.

[4]- إسماعيل العربي: **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1983، ص335.

[5]- سعد غيث مطير: "آل بغيغ الونكريين ودورهم الثقافي في السودان الغربي خلال القرنين 10-11هـ/16-17م"، **مجلة جامعة الزيتونة**، ع11، ليبيا، 2011، ص23-24.

وإسماعيل، إظافة إلى أحفاده، وبالتالي فقد مثلت ثروة علمية للكثير من طلبة العلم وحتى الفقهاء.[1]

المبحث الثالث : العلوم النقلية والعلوم العقلية:

المطلب الأول : العلوم النقلية:

ظلت العلوم الشرعية وعلوم اللغة مادتين أساسيتين في الحركة الفكرية في السودان الغربي عامة ومدينة تمبكتو خاصة. ومن بين هاته العلوم نجد العلوم الشرعية المعتمدة على النص من تفسير وحديث، ومن أبرز كتبها نجد كتاب صحيح البخاري ومسلم، والشفاء للقاضي عياض وغيرها.

1- الفقه:

عرفت المدارس وأماكن العبادة خلال القرن 16م-10هـ، إنتشار كتب الفقه المالكي المعروفة بالمغرب الإسلامي وباقي العالم الإسلامي. فالمكانة الثقافية التي كانت تزخر بها تمبكتو كانت نتيجة لإثراء الحركة الفقهية سواءا بتدريس أمهات المصادر المالكية، أو إنتاجهم الفقهي كشروح لهذه المصادر أو حواشي أو مؤلفات. ومن أمثلة ذلك ما تركه العالم محمد بن عبد الكريم المغيلي من مؤلفات فقهية أثناء زيارته لبلاد السودان الغربي منها: "مصباح الأرواح في أصول الفلاح " وهو في كراسين، كذلك كتاب سماه تلخيص المفتاح لمختصر سعيد وشرحه.[2]

ومن العلماء الذين أخذوا عن الإمام المغيلي، الفقيه العاقب بن عبد الله الأنصمي الذي كان فقيها عالما ذكيا، له تعاليق أهمها تعليقه على قول خليل وخصصت لنية الحالف[3]، وكذا "الجواب المحمود عن أسئلة القاضي محمود" والذي أجاب فيه عن أسئلة فقهية وجهها له القاضي محمود بن عمر أقيت، و"أجوبة الفقير عن أسئلة الأمير" حيث أجاب فيه عن أسئلة السلطان أسكيا محمد الكبير.[4]

---

[1]- محمد مولاي: المرجع السابق، ص312.

[2]- سعد غيث مطير: الثقافة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص243.

[3]- أحمد بابا التمبكتي: نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ج2، ص353.

[4]- السعدي: المصدر السابق، ص41.

والقاضي محمود بن عمر أقيت له تأليف في مختصر خليل من جزئين جادل به علماء مصر أثناء سفره إلى الحج من بينهم إبراهيم المقدسي والقلقشندي. كما كان للعلامة الفقيه أحمد بن أحمد أقيت إنتاج علمي مخطوط بيده، حيث ترك في مجال الفقه حاشية على شرح التتائي على مختصر خليل بين فيها مواضيع السهو، وجمع الكثير من الشروح والقواعد وكتب بخط يده عدة دواوين. إضافة إلى الفقيه أحمد بابا التمبكتي الذي يعتبر من أبرز علماء الفقه المالكي، فقد ألف العديد من الكتب وله العديد من الرسائل والفتاوى والآراء على ضوء الفقه المالكي، حيث جلس للإفتاء والتدريس من أمهات هذا الفقه.[1]

2- علم الحديث:

ويعتبر من أجل العلوم بعد القرآن الكريم، وكانت له أهمية كبرى باعتباره المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، فنجد أن علماء تمبكتو قد أسهموا بشكل كبير في هذا المجال. فنجد منهم العالم أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت والذي يقول فيه السعدي: "...البارع في علم الأدب والفقه والحديث والمادح لرسول الله صلى الله عليه وسلم." وقال عنه أنه الحافظ الفقيه.[2] أي الذي يحفظ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

كما نجد الإمام عبد الكريم المغيلي الذي كان له مؤلف في علوم الحديث سمي "مفتاح النظر في علوم الحديث"[3] وقد كان للقاضي محمد بن محمود بن أبي بكر المشهور ببغيغ نصيب من هذا العلم الذي تلقاه أثناء رحلته إلى المشرق الإسلامي ثم عاد إلى تمبكتو ودرس هذا العلم.[4] أما أحمد بابا التمبكتي فقد تضلع في علم الحديث حيث إشتهر بإجازاته لطلابه ومنهم أحمد بن محمد المقري، والذي أجازه حيث يقول: "...و أجزته أيضا يروي عني كتاب الشفا للقاضي عياض وصحيح مسلم."[5]

---

[1]- سعد غيث مطير: الثقافة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص244.

[2]- السعدي: المصدر السابق، ص55.

[3]- عبد الحميد مقاديم: **المدارس العلمية ودورها السياسي والثقافي في السودان الغربي مالي وسنغاي ق7-10هـ/13-16م**"، (أطروحة دكتوراه)، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2017-2018، ص143.

[4]- السعدي: المصدر السابق، ص34.

[5]- عبد الحميد مقاديم: المرجع السابق، ص143.

3- علوم القرآن الكريم:

يعتبر القرآن الكريم من أرفع العلوم منزلة لكونه يتعلق بكلام الخالق، فهو بمثابة دستور للعباد يحقق لهم خير الدارين الدنيا والآخرة. فما كان من علماء السودان الغربي إلا أن إهتموا به فألفت فيه الكتب.

- **علم القراءات:** من مشاهير القراء في تمبكتو الإمام إبراهيم الزلفي، الذي كان من أشهر المدرسين في مدرسة أبو القاسم التواتي قبالة المسجد الجامع في تمبكتو. وقد إمتدحه السعدي وهو أستاذ والده بقوله: "...السيد الفاضل الصالح الخير الزاهد المقرئ عالم التجويد والفقيه إبراهيم الزلفي هو أستاذ والدي".[1]

كما نجد الفقيه عبد الرحمان بن الفقيه القاضي سيدعلي بن عبد الرحمان الأنصاري المسناني والذي توفي سنة 1008هـ-1600م، كان مقرءا وفقيها في مدينة تمبكتو . كذلك العالم عبد الله بن أحمد بري بن أحمد الفقيه أندغ محمد الجد توفي سنة 1010هـ-160202م، كان قارئا ومتقنا في شتى الفنون إشتهر بعلم القراءة.[2]

- **علم التفسير:** كانت تدرس في حاضرة تمبكتو كتاب التفسير للجلالين جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي.[3]وكانا مشهورين وذلك لبساطة الأسلوب ودقة المعاني فيسهل على طلاب العلم قراءته وفهم معانيه.

إضافة إليهما ظهرت مؤلفات في هذا المجال من علماء المنطقة منهم الإمام عبد الكريم المغيلي بكتابه "تفسير سورة الفاتحة"، و" البدر المنير في علوم التفسير".[4] وإشتهر كذلك الفقيه أحمد بن أحمد بن محمد بن عثمان بن عبد الله التمبكتي والذي توفي في القرن العاشر هجري،

---

[1]- السعدي: المصدر السابق، ص58.

[2]- عبد الحميد مقاديم: المرجع السابق، ص144.

[3]- جلال الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم المحلي المصري الشافعي المتوفى سنة 864هـ. أنظر: مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص686.

[4]- سعد غيث مطير: الثقافة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص238.

السادس عشر ميلادي، والذي كان مدرسا للتفسير في مسجد سنكري.[1]ومنهم أيضا الفقيه أحمد بابا التمبكتي الذي كان بارعا فيه رغم أنه لم يترك مصنفا مستقلا إلا أنه كان مجازا في علم التفسير وكان يدرسه في تمبكتو ومراكش.[2]

4-علوم اللغة وآدابها:

أ- النحو:

إهتم به الفقهاء والعلماء السودانيين تدريسا وتأليفا، فمن ناحية التدريس كانت هناك عدة مؤلفات واسعة الإنتشار وهي تعد من المصادر المهمة في النحو مثل "ألفية بن مالك" و"متن الأجرومية".[3] اللتان كانتا من المناهج المقرر على طلاب العلم ولهم فيها إجازات لذلك.

أما في ميدان التأليف فنجد الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي ألف ألفية في مقدمة اللغة العربية.[4]كما برع الفقيه محمد بن أندغ محمد بن أحمد بمؤلفه "الفتوح القيومية على شرح الأجرومية"، إذ وصفه البرتلي بالنحوي اللغوي.[5]

كما ساهم الفقيه أحمد بابا التمبكتي في مجال النحو بمؤلفات منها "مسألة مساواة الفاعل للمبتدأ وشرح ألفية مالك."[6] كما إشتهر الحاج أحمد بن عمر أقيت الذي كان مجالسا لشيخه المختار النحوي، حيث وصفه أحمد بابا بأنه فقيها نحويا لغويا[7]. وكذا الفقيه محمود بن محمد الزغراني التمبكتي الذي برع في النحو واللغة وتصدر التدريس في مدارس تمبكتو.[8]

---

[1]- البرتلي: المصدر السابق، ص39.

[2]- عبد الحميد مقاديم: المرجع السابق، ص145.

[3]- الأجرومية: نسبة إلى أبو عبد الله محمد بن محمد بن داوود الصنهاجي الفاسي المشهور بابن أجروم، كان نحويا مقرئا توفي بفاس سنة 723هـ ؛ أنظر: مهدي رزق الله أحمد : المرجع السابق، ص686.

[4]- أحمد بابا التمبكتي: نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ج2، ص 578.

[5]- البرتلي: المصدر السابق، ص39.

[6]- عبد الحميد مقاديم: المرجع السابق، ص ص146-147.

[7]- أحمد بابا التمبكتي: نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ج2، ص139.

[8]- السعدي: المصدر السابق، ص213.

ب- علم التاريخ والتراجم:

يعتبر علم التاريخ من العلوم المهمة في إستقراء المنجزات الإنسانية عبر مرور الزمن، وبه يستفاد من عبر الماضيين والتنبؤ بالمستقبل. وقد لقي هذا العلم إهتماما كبيرا في بلاد السودان الغربي وخاصة في مدينة تمبكتو. حيث ظهر مؤرخين كبار دونوا تاريخها وكتبوا أحداثها ووقائعها، وترجموا لسادتها وأبطالها، أبرزهم تاريخ الفتاش لمحمود كعت، وتاريخ السودان لعبد الرحمان السعدي. أما كتب التراجم فتصدرها كتابي أحمد بابا التمبكتي: "نيل الإبتهاج بتطريز الديباج"، و"كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج".

- **تاريخ الفتاش للقاضي محمود كعت:** عنوانه الكامل " تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، والكتاب هو بمثابة وثيقة هامة من تاريخ السودان الغربي. إذ يؤرخ للأحداث التي شاهدها المؤلف بنفسه وهذا ما علق عليه بقوله:"...كانت لما رأيناه وشاهدناه."[1]ويعتبر كتاب الفتاش وصفا دقيقا للحياة السياسية والإجتماعية والثقافية لبلاد السودان الغربي عامة، منذ عهد مملكة مالي وسلطانها منسى موسى مرورا بفترة حكم سني علي، إلى غاية حكم دولة سنغاي الإسلامية في عهد الملك أسكيا محمد، الذي نال إستحسانا وتعظيما كبيرا من طرف محمود كعت.

وقد إعتمد في تأليفه لهذا الكتاب على الرواية الشفوية والمشاهدة العينية، كما كانت له مصادر أخرى إعتمد عليها أهمها دور الحسان في أخبار بعض ملوك السودان لمؤلفه باباكورا بن الحاج محمد بن الحاج الأمين، كما يعتبر الكتاب موسوعة في تاريخ المنطق. وقد نشره المستشرقان الفرنسيان هوداس ودولافوس في باريس سنة 1914م باللغة الفرنسية، ثم ترجم إلى اللغة العربية وأعيد طبعه دون أي تغيير عامي 1923م-1964م.[2]

-**تاريخ السودان للسعدي:** يعد كتابه من أوثق مصادر تاريخ بلاد السودان الغربي. وقد ذكر في مقدمة كتابه إهتمامه بالتاريخ وبأسباب كتابته لمؤلفه، حيث سجل كل ما كان

[1]- محمود كعت: المصدر السابق، ص16.

[2]- عبد الحميد مقاديم: المرجع السابق، ص153.

يسمعه أو يراه، إذ قال: "... ولما رأيت انقراض العلم ودروسه وذهاب دينارة وفلوسه. وأنه كبير الفوائد لما فيه من معرفة المرء بأخبار وطنه وأسلافه وطبقاتهم وتواريخهم وتنبكت ونشأتها ومن ملكها من الملوك وذكر بعض العلماء والصالحين الذين توطنوا فيها وغير ذلك إلى آخر الدولة الأحمدية."[1]

وقد تكلم هذا الأخير في مؤلفه عن تاريخ السودان الغربي منذ عهد مملكة مالي إلى غاية الغزو المراكشي. غلب على أسلوبه الأسلوب الوصفي في سرد الأحداث معتمدا على المصادر الشفوية والمصادر المكتوبة، منها كتاب نيل الإبتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التمبكتي. وقد تم العثور على مخطوط تاريخ السودان من طرف هنري بارث عام 1853م، في مدينة جواند وحققه المستشرق الفرنسي هوداس ونشره في باريس عام 1889م، ثم أعيد طبعه عام1964م.[2]

- **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج للعلامة أحمد بابا التمبكتي:** يعتبر من أهم كتب التراجم التي ترجمت لسيرة شخصيات وأعلام داخل وخارج السودان الغربي. وقد نهج أحمد بابا في مؤلفه حذو ما كتبه إبن فرحون في ديباجته، حيث أرخ لفقهاء المالكية. إعتمد في تأليفه على عدة مصادر منها كتاب التشوف إلى رجال التصوف لإبن الزيات التادلي. وذيل لإبن الآبار القضاعي والصلة لإبن شكوال، ورحلتي العبدري، وكتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لإبن الخطيب التلمساني وغيرها من المعاجم والمؤلفات . كما إعتمد على الرواية الشفوية التي إستقاها من أفواه الرجال أمثال والده أحمد بن أحمد أقيت وصاحبه محمود بن يعقوب الأديب المراكشي وغيرهم.[3] تم تقديم الكتاب من طرف الدكتور الليبي عبد الله الهرامة مع مجموعة من طلاب كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس فوضعوا هوامشه في طبعة أولى سنة 1998م.[4]

---

[1]- السعدي: المصدر السابق، ص02.

[2]- عبد الحميد مقاديم: المرجع السابق، ص ص155-156.

[3]- بدري محمد فهد: "أثر الإسلام في إنتشار اللغة العربية في إفريقيا "، **حوليات الجامعة الإسلامية**، ع4، النيجر، 1998، ص201.

[4]- عبد الحميد مقاديم: المرجع السابق، ص158.

- **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج** : وهو لأحمد بابا التمبكتي، ويعتبر تكملة أو ذيل لكتاب نيل الإبتهاج. حيث إقتصر فيه على ذكر المشاهير من الأئمة والفقهاء المعروفين بتآليفهم دون غيرهم.[1] إذ يتضمن ترجمة لسبعة مائة عالم من علماء المشرق والمغرب والأندلس وبلاد السودان من فقهاء المالكية. يمتاز بترجمة شخصية للمؤلف وفهرس خاص به، مع لائحة مفصلة للمصادر التي إعتمد عليها. كما قام هذا الأخير بتأليف كتابه هذا أثناء إقامته بمراكش وإنتهى منه سنة 1002هـ-1603م.[2]

ج- الشعر: لقد عرف لونين المدح والرثاء.

أما المدح فنجد الشاعر المختار بن القاضي أندغ محمد الذي له عدة قصائد من بينها قصيدة يمدح فيها السوقيين عدد أبياتها 44بيتا. كما ونجد الفقيه المختار بن أيداه ولديه عدة قصائد في المدح فيقول في إحداها مادحا أحمد بابا التمبكتي:

حسبي من آل الشيخ بابا أحمد .....الطيب الحب المحب المحمد
الفاضل المبارك المود ..... الطاهر الحلاحل الزبر الجد
الماجد السميدع المجد ..... شمس الضحى المبجل المنفرد
يا بابا جد أن أباك مرشد .....كن جلدا إن أباك كجلد[3]

أما الرثاء فنجد قصيدة الشيخ يحي التادلسي يرثى فيها الفقيه محمود بن محمد الكابري وهي من البحر الطويل جاء فيها:

تذكر في التذكار جل الفوائد.....وفي طيه ورد على خير وارد
ألم تر سفر الحث بالفضل خصصوا.....وسفر دوي الأفكار أحظى بزائد
ففي لب المرء طيبة الصبا .....فيلحق فتيانا ويقوى ليساعد
.../...
وصلى إله العرش ربي يمنه.....على خير مبعوث وأفضل شاهد
محمد المختار للختم رحمة.....بتميم أخلاق كرام معاهد[4]

---

[1]- بدري محمد فهد: المرجع السابق، ص203.

[2]- عبد الحميد مقاديم: المرجع السابق، ص ص158-159.

[3]- سعد غيث مطير: الثقافة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص254.

[4]- السعدي: المصدر السابق، ص49.

المطلب الثاني: العلوم العقلية:

كان من أبرزها علم الكلام والمنطق والفلك:

1-علم الكلام:

يعرفه إبن خلدون بقوله: "بأنه علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعين والمنحرفين في الإعتقادات من مذهب السلف وأهل السنة وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد".[1] أي أن هذا العلم يعتمد على الجدل للبحث في مسائل العقيدة الإسلامية بغرض الدفاع عنها بالحجة والإقناع. فكانت أهم كتبه صغرى السنوسي والجزيرية. حيث وصلت مؤلفات السنوسي إلى تمبكتو في وقت مبكر نسبيا، فقد وضع أحمد بابا ووالده شروحا على صغرى عقائده، ووضع الفقيه محمد بن محمود بغيغ الونكري نظما عليها.[2] ويذكر أحمد بابا التمبكتي في نيل الإبتهاج بقوله: "...حضرت عليه صغرى السنوسي مع شرح الجزيرية وحضرت عليه الكبرى وشرحها".[3]

2- علم المنطق:

كان للمغيلي دور كبير في إدخال هذا العلم إلى السودان الغربي عامة، إذ يعتبر من أكثر علماء المغرب الإسلامي تأثرا بالمنطق. فقد كان يرى أنه بواسطة المنطق يتمكن الفرد من الوصول إلى اليقين، إذ إهتم هذا الأخير بالمنطق لأنه كان يرى أن الشرع أوجب النظر بالعقل في الموجودات وإعتبارها. كما كان له دور كبير في تعميم هذا العلم في حواضر السودان الغربي، حيث كانت مؤلفاته بارزة بشكل كبير على الساحة الإفريقية ونجد من بينها "منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب".[4]

---

[1]- عبد الرحمان بن محمد إبن خلدون : **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، منشورات دار الكتاب اللبناني، ج1، بيروت 1968، ص458.

[2]- محمد مولاي: المرجع السابق، ص260.

[3]- الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري، المرجع السابق، ص182.

[4]- مبخوث بوداوية: المرجع السابق، ص211.

ثم تعاقب علماء حواضر السودان الغربي على الإشتغال بهذا العلم، فنجد أن فقهاء تمبكتو كان لهم النصيب الوافر من الأخذ بهذا العلم منهم الفقيه أحمد بن عمر أقيت (ت909هـ-1503م)، والذي إشتهر بإجادته لهذا العلم وكانت له عدة مؤلفات أهمها " إمناح الأحباب في منح الإيجاب"، وهو عبارة عن شرح لمؤلف المغيلي "منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب".[1] كما نجد الفقيه محمد بن محمود بن عمر والذي إهتم هو الآخر بمؤلفات المغيلي إذ وضع شروحا وتآليفا عليها منها "أرجوزة على شرح منظومة المغيلي "، و"شرح وتعليق على رجز المغيلي في المنطق".[2] فقد كان أستاذا بارزا تخرج على يديه العديد من العلماء ممن تأثروا به في علم المنطق، أبرزهم الشيخ عبد الله بن عمران السعدي، والد المؤرخ عبد الرحمان السعدي.[3]

ومنهم أيضا الفقيه أحمد معيا الذي كان أحد علماء تمبكتو البارزين ومدرسيها المشهورين، حيث تخصص في الشرعيات وعلم الكلام والمنطق وله فيه تعليقات وشروح. أما الفقيه محمود سري بن سليمان والذي توفي سنة 1028هـ، يعتبر أيضا من مشاهير العلماء في مدينة تمبكتو، وكان رحمة الله عليه عالما محدثا منطقيا.[4]

3- علم الفلك:

لقد إهتم به علماء مدينة تمبكتو حيث درسوا كتبه المشهورة في مدارسهم وجامعاتهم مثل جامعة سنكري المشهورة، ومن بين كتبها " الهاشمية في التنجيم"، و"مقدمة الشيخ عبد الرحمان التاجوري"، و"تأليف مكتوب في شهور السنة على حساب العجم" لأبي العباس أحمد بن البناء لازدي.[5]

---

[1]- الهادي مبروك الدالي : التاريخ الحضاري، المرجع السابق، ص204.

[2]- محمد ألفا جالو : المرجع السابق، ص283.

[3]- السعدي: المصدر السابق، ص40.

[4]- محمد مولاي: المرجع السابق، ص263-264.

[5]- مبخوث بوداوية: المرجع السابق، ص211.

إن تطور الحياة العلمية في مدينة تمبكتو يبرز أكثر في العالم أحمد بابا التمبكتي الذي شكل مثلا للعالم السوداني المتشبع بالثقافة العربية الإسلامية. وتبين لنا الحياة العلمية له ذاك النظام العام الذي كان يسلكه الطالب في تعليمه وتلقينه في شتى العلوم والفنون وما نقله عن الشيوخ. وهذا يدل على إنتظام التعليم في هذا العصر.

الفصل الثالث:

صور التلاقح الحضاري بين حاضرة تمبكتو ودول العالم العربي الإسلامي

الفصل الثالث: صور التلاقح الحضاري بين حاضرة تمبكتو ودول العالم العربي الإسلامي.

تمهيد:

لقد تجسدت صور التلاقح الحضاري بين مدينة تمبكتو وباقي العالم العربي الإسلامي في تلك الرحلات التي أدت دورا مهما في الحياة العلمية والثقافية في مدينة تمبكتو، فمن خلالها تم التعرف على علوم وثقافات الشعوب الأخرى سواءا كانت مغربية أو مشرقية. فنجد أن رحلات الحج التي قام بها سلاطين وأهالي تمبكتو كان لها الفضل الكبير في تمتين العلاقات العلمية والثقافية بين هذه المدينة والمشرق الإسلامي .

كما تعتبر الرحلات العلمية التي قام بها فقهاء وطلاب تمبكتو عاملا مهما في إنتقال العلوم والثقافة العربية من مواطنها في شمال إفريقيا إلى المدينة، والتي أصبحت تمثل أيضا وجهة للعديد من العلماء والطلاب من بلاد المشرق والمغرب، أمثال الشيخ العلامة عبد الكريم المغيلي والفقيه العاقب الأنصمي وغيرهم.

فنجد أن تمبكتو خلال القرن 10هـ-16م، كانت صورة حية عن مدى إنتشار الثقافة العربية الإسلامية في جميع المجالات، فيبرز ذلك في إحتراف فقهاء تمبكتو لمهنة القضاء، والتي كانت تمثل أهم الوظائف في نظام الملك. ومن أبرز قضاة تمبكتو نجد القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت، القاضي العاقب بم محمود بن عمر بن محمد أقيت، والقاضي محمد بغيغ وغيرهم ممن شكلوا نواة السلم الإداري والعلمي في تمبكتو، التي أنجبت العديد من المؤرخين المخضرمين أمثال أحمد بابا التمبكتي وعبد الرحمان السعدي، بالإضافة الى القاضي محمود كعت الذي لطالما تباهى بإنتمائه العلمي لهذه المدينة.

المبحث الأول: رحلات الحج والرحلات العلمية.

المطلب الأول: رحلات الحج وأثرها الثقافي في حاضرة تمبكتو:

1- رحلات حج السلاطين والعلماء:

أ-رحلة حج السلطان منسى موسى: يعتبر السلطان منسى موسى أحد ملوك مملكة مالي الذين تأثروا بشكل كبير بالدين والثقافة الإسلاميين، وهذا ما دفعه إلى القيام برحلته الحجية سنة 724هـ-1321م. فوصفت المصادر التاريخية ذلك الثراء الأسطوري الذي كان يحمله معه، والذي جعل العالم الإسلامي ينبهر بمجده وقوته وثراءه.[1]يقول فضل الله العمري أن السلطان منسى موسى نزل بأرض مصر في عدد وفير من أهل مالي في موكب عظيم، وأستقبل من طرف الملك المملوكي الناصر بن قلاوون فأكرمه وأحسن وفادته.[2]

ولقد قام منسى موسى ببناء المساجد في طريقه للحج في كل مكان تدركه صلاة الجمعة.[3] كما إشترى أملاكا وقفية لأهل التكرور في مصر مساعدة لهم في طلب العلم. ووهب الكثير من المال للأزهر الشريف، وأسس رواق به لطلبة بلاد السودان الغربي. كما قام ببناء دار في مصر لطلبة العلم من أهل السودان، في حين عمل على ربط علاقات مع العديد من العلماء في مصر منهم العالم محمد بن أحمد تغلب.[4]

كما كانت هذه الرحلة استهلالا لتوافد عدد كبير من التجار والعلماء إلى السودان الغربي، حيث ساهموا في إزدهار النشاطين الإقتصادي والثقافي. وقد إشترى هذا الأخير مجموعة من الكتب الدينية أهمها كتب الفقه المالكي التي تركت نشاطا علميا ملحوظا، إذ

---

[1]- أبو بكر إسماعيل ميڤا: **الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من 400هـ إلى 1100هـ**، مكتبة التوبة، ط1، الرياض، السعودية، 1997، ص ص74-75.

[2]- فضل الله العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأبصار**، تح: مصطفى أبو ضيف، مطبعة الدار البيضاء، ط1، المغرب، 1988، ص ص70-71.

[3]- محمود كعت: المصدر السابق، ص36.

[4]- عبد الحميد مقاديم، نعيمة عبد الحميد: "رحلات حج سلاطين السودان الغربي وأثرها الحضاري رحلتي السلطان منسى موسى والأسكيا محمد الكبير نموذجا"، **المجلة الجزائرية للمخطوطات**، مج 13، ع1، جامعة أحمد بن بلة، وهران، جوان 2018، ص ص111- 112.

عمل منسى موسى على تشجيع الحركة العلمية بين مصر والحجاز والسودان الغربي. كما إستطاع من خلال رحلته الحجية أن يتعرف على النظم الحضارية الإسلامية السائدة في المشرق العربي، والإطلاع على ملامح الحركة التعليمية ومحاولة الأخذ بها إلى بلاد السودان الغربي.[1]

ب- رحلة حج السلطان أسكيا محمد: والتي كانت سنة 902هـ-1496م، تعتبر هذه الرحلة الثانية من ناحية الضخامة والشهرة. وقد قام بها هذا الأخير بعد توليته الحكم على عرش مملكة سنغاي، وقد إصطحب معه مجموعة من العلماء والفقهاء كالشيخ محمد تل وألفا صالح جور وكاغ زكريا والمؤرخ محمود كعت.[2]

وقد قام أسكيا محمد خلال رحلته للحج بشراء بيوت ووضع العديد من البساتين كوقف على الفقراء والمساكين والحجاج القادمين من بلاد السودان الغربي.[3] وقد أعطت هذه الرحلة حيوية دفع جديد لعلاقات بلاد السودان الغربي مع مصر وبلاد الحرمين، وذلك من خلال تلك الهبات التي منحها الأسكيا لعلماء الأزهر وبلاد الحرمين. إضافة إلى تقلده لقب الخليفة وهو ما عزز من مكانة طلاب وحجاج بلاد السودان الغربي في هذه الديار.[4]

وقد أفاد الأسكيا محمد من رحلة حجه حيث إجتمع بزعماء المسلمين وتأثر بما رآه في مصر من نظم في الحكم راقية، ومن ثقافة عربية مزدهرة. فإتصل بالإمام السيوطي وغيره من علماء العصر. وعاد إلى بلده متأثرا بما رآه من روح إسلامية خالصة وعمل على تطبيق ما تعلمه من آراء وتجارب، وهذا ما أبرزته المصادر التاريخية التي تحدثت عن الإصلاحات الواسعة التي شملت سائر بلاد السودان الغربي.[5]

---

[1]- عبد الله عيسى: "الحج في عهد مملكة مالي "، **مجلة البحوث التاريخية**، ع2، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، جوان 2017، ص ص259-260.

[2]- محمود كعت: المصدر السابق، ص16.

[3]- السعدي: المصدر السابق، ص72.

[4]- عبد الحميد مقاديم: رحلات حج، المرجع السابق، ص ص115-116.

[5]- حسن أحمد محمود: **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، دار الفكر، بيروت، 1986، ص251.

ج- رحلات حج العلماء والفقهاء: لقد كانت للفقيه محمود بن عمر أقيت رحلة إلى الحج سنة 915هـ-1509م.[1] وكذلك العاقب الأنصمي الذي وصل إلى الأراضي المقدسة لغرض الحج، فتمكن من الإستفادة علميا من خلال مخالطته للعديد من العلماء والفقهاء. كما نجد الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر أقيت وقد وصل إلى الأراضي المقدسة سنة 956هـ-1550م، وتحصل هو الآخر على الكثير من العلوم من خلال مخالطته لمجموعة من العلماء أمثال الشيخ ناصر اللقاني والشيخ التاجوري الذي لازمه وتبرك به وقيد عنه فوائد كثيرة.[2]

كما نجد الفقيه أبو بكر بن محمد أقيت الذي سار في رحلة الحج ثم عاد إلى مدينة تمبكتو وقرر نقل عائلته والرحيل نهائيا إلى الأراضي المقدسة . بالإضافة إلى الفقيه محمد بن محمود بن أبي بكر بغيغ وأخوه أحمد اللذان رحلا للحج، فلقوا هناك الناصر اللقاني والتاجوري والشريف يوسف وغيرهم، فجلسا في مجالسهم وتأثرا بثقافتهم العالية في الكثير من العلوم.[3]

2- الأثر الثقافي لرحلات الحج في حاضرة تمبكتو:

يعتبر الحج ركنا أساسيا من أركان الإسلام، فهو مناسبة دينية إجتماعية ومظاهرة ثقافية وعنصر مهم في حركة الناس وتنقلهم. ففيه تشهد الأماكن المقدسة تجمع حشود ضخمة من أجناس مختلفة ومتعددة، ليكون فرصة لمناقشة أمورهم ونهل بعضهم من علوم البعض الآخر وتبادل المهارت. وتقول المصادر التاريخية أنه ومنذ تغلغل الإسلام في السودان الغربي حرص سلاطين الدويلات الإسلامية على تنظيم قوافل الحج السنوية إلى الأراضي المقدسة.[4]

ولقد أسهمت رحلات الحج في إستمرارية التواصل الثقافي بين بلاد المشرق الإسلامي وبلاد السودان الغربي، فقد ظلت قوافل الحج قنوات إتصال تنساب عبرها السلع والأفكار. حيث كان الحجيج المتوجهون شرقا يشعرون بأهمية إطلاعهم على كل ما يجري في تلك البقاع من أحداث وما يدرس من علوم، وبالتالي إقترنت رحلات الحج بإكتساب ثقافة الغير. كما كان لها

---

[1]- مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص 337.

[2]- مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص341.

[3]- سعد غيث مطير: الثقافة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 170.

[4]- محمود كعت: المصدر السابق، ص 122.

آثار عظيمة على بلاد السودان الغربي إذ تعرف العالم الإسلامي على هذه المناطق وزاد الإتصال الحضاري والعلمي والثقافي بين بلاد السودان الغربي وبقية العالم الإسلامي. فقد منحت رحلات الحج للعلماء والعامة طابعا دينيا من خلال آدائهم لمناسك الحج والعمرة وحضور جلسات الذكر، وإكتسبت طابعا ثقافيا من خلال إتصالهم بالعلماء والفقهاء والأخذ عنهم.[1]

ولقد حظي الحجاج بالتكريم والتعظيم من طرف السلاطين والفقهاء والعامة من الناس، إذ كان الملوك ورؤساء القبائل يستقبلونهم بالتبشير والترحاب ويتبرك بهم العامة، ودليل ذلك هو الإحتفال الذي كان الملك منسى موسى يقيمه كل عام لإستقبال الحجاج العائدين من بيت الله الحرام، فكان يقبل رؤوسهم وجباههم ويقول إنها الجباه التي سجدت على أديم بيت الله الحرام.[2]كما وقد أولى سلاطين مملكة سنغاي أهمية كبيرة للحج والحجاج فكانوا يستقبلونهم بحفاوة وتبجيل.

وقد كان للحج دور آخر تمثل في وصول بعض الطرق الصوفية إلى بلاد السودان الغربي، نذكر منها الطريقة القادرية[3]، والطريقة العروسية[4]. أما الطريقة القادرية فقد دخلت إلى بلاد السودان الغربي في القرن 9هـ-15م، على يد مهاجرين من توات هاجروا إلى ولاتة وبعد فترة انتقلوا إلى تمبكتو. كما نجد أن حجاج السودان الغربي قد إنتموا أيضا إلى الطريقة العروسية، فعندما حج الفقيه أحمد بابا التمبكتي سنة 956هـ-1549م، تتلمذ على يد الشيخ عبد السلام بن سليم الفيتوري الشهير بالأسمر، وأخذ عنه الطريقة العروسية.[5]

---

[1]- عبد الحميد مقاديم: المدارس العلمية، المرجع السابق، ص 121.

[2]- محمود كعت: المصدر السابق، ص 120.

[3]- الطريقة القادرية: تنسب إلى عبد القادر الجيلاني الذي عاش في الفترة ما بين 471هـ-561هـ، وهو عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني ويكنى بأبي صالح ويعتبر من أشهر علماء بغداد ؛ أنظر: عبد الحميد مقاديم: المدارس العلمية، المرجع السابق، ص123.

[4]- الطريقة العروسية: نسبة إلى الشيخ أحمد بن عروس دفين تونس عام868هـ، وهي طريقة سلافية ترتبط بالطريقتين القادرية والشاذلية، وقد زاد من تدعيم هذه الطريقة وذيوع صيتها تبني الشيخ عبد السلام الأسمر لها؛ أنظر: سعد غيث مطير: الثقافة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 170.

[5]- عبد الحميد مقاديم: المرجع نفسه، صص123-124.

المطلب الثاني: الرحلات العلمية من وإلى مدينة تمبكتو:

1-العلماء الذين رحلوا لطلب العلم:

- **الفقيه أحمد بن عمر أقيت:** وهو الفقيه أحمد بن عمر بن علي أقيت الصنهاجي جد أحمد بابا التمبكتي[1]عرف بالحاج أحمد، قال فيه أحمد بابا:"...كان فقيها نحويا لغويا عروضيا محصلا بارعا حافظا...جمع كثير من الفوائد والتأليف."[2] رحل إلى الحج سنة 890هـ-1485م، لقي خلالها جلال الدين السيوطي والشيخ خالد وفاء الأزهري إمام النحو في مصر، توفي سنة 942هـ-1535م .[3]

-**محمود بن عمر بن محمد أقيت:** ولد بتمبكتو سنة 868هـ-1463م، يكنى بأبي الثناء وأبو المحاسن عالم التكرور وصالحها ومدرسها وفقيهها وإمامها...تولى القضاء سنة 904هـ-1498م، فشدد في الأمور وسدد.[4] سافر إلى المشرق لآداء رحلة الحج فإلتقى بالشيخ إبراهيم المقدسي والقلقشندي واللقاني، ثم رجع إلى تمبكتو فجلس للإفتاء والتدريس والقضاء لمدة تقارب نصف قرن من الزمن.[5]

- **الفقيه أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت:** تمبكتي المولد سنة 932-991هـ/1526-1583م، نزل بالمدينة المنورة كان ورعا زاهدا تقيا...كثير الصدقة، والعطاء...حج، ثم آب لبلاده لأجل أولاده فأخذهم ورجع، وحج وسكن المدينة حتى مات، درس أحمد بابا النحو.[6]

- **الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت:** وهو والد الفقيه أحمد بابا التمبكتي، إرتحل إلى المشرق سنة 956هـ-1549م، فذهب إلى الحج وإجتمع مع نخبة من العلماء منهم

---

[1]- السعدي: المصدر السابق، ص 37.

[2]- أحمد بابا التمبكتي: نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ج1، 142.

[3]- عبد الحميد مقاديم: المدارس العلمية، المرجع السابق، ص 168

[4]- أحمد بابا التمبكتي: نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ج2، ص ص343-344.

[5]- سعد غيث مطير: الثقافة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 275.

[6]- أحمد بابا التمبكتي: كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج1، ص 181.

الناصر اللقاني والشريف يوسف الأسيوطي تلميذ السيوطي، والشيخ التاجوري.[1] ثم عاد إلى تمبكتو فجلس للتدريس والإفتاء لمدة خمسة وعشرون سنة حتى توفي سنة 991هـ-1583م وهو يقرأ صحيح مسلم.[2]

-**الفقيه محمد بن محمود بغيغ:** هو الفقيه محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري المعروف ببغيغ، أخبر تلميذه أحمد بابا بأنه ولد بمدينة جنى سنة930هـ- 1523م، وهو إبن قاضيها المشهور محمود بغيغ.[3] زار الأراضي المقدسة رفقه أخيه أحمد وخاله الصالح أحمد، وعند عودته إلى تمبكتو إهتم بدراسة الفقه والحديث والمدونة والموطأ والبيان والمنطق.[4] إشتهر بالولاية والصلاح في نظر أهالي المنطقة، وأصبحوا يطلقون على أولادهم أسماءا مركبة من إسمه "محمود بغيغ" توفي سنة 1002هـ-1593م.[5]

2-العلماء الوافدون إلى مدينة تمبكتو:

-**أحمد بن عبد الكريم المغيلي:** هو محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني بن عمر بن مخلوف بن علي الحسن بن يحي ينتسب إلى قبيلة مغيلة البربرية القاطنة في نواحي تلمسان.[6]حفظ القرآن الكريم على يد والده، وقرأ عليه موطأ مالك، ثم درس على يد علماء آخرين التفسير والفقه المالكي وكتب السيرة، قال عنه أحمد بابا التمبكتي: "بلغ الغاية في العلم والنهاية في المعارف الإلهية وإرتقى مراقي الزلفي ورسخ قدمه في العلم."[7]عرف بحدته وشجاعته في محاربة الفساد، فعندما رحل إلى إقليم توات مارس مهمة الدعوة الإسلامية والإصلاح،

1- السعدي: المصدر السابق، ص 32.

2- أحمد بابا التمبكتي: نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ج1، ص142.

3- سعد غيث مطير: الثقافة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 282.

4- الهادي مبروك الدالي : التاريخ الحضاري، المرجع السابق، ص 218.

5- سعد غيث مطير: المرجع نفسه، ص ص281-282.

6- مبروك مقدم: **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن9هـ-15م**، دار الغرب للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 2004، ص13.

7- أحمد بابا التمبكتي: نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ج2، ص181.

وهناك وقعت ما تعرف بنازلة توات المتعلقة باليهود حيث وقف في وجه أطماعهم الدينية ببناء المعابد والسيطرة على التجارة فأصدر المغيلي فتوى تدعو لمحاربتهم.[1]

وبعدها إنتقل المغيلي إلى السودان الغربي فكان القصد من رحلته العمل على نشر قواعد الإسلام في تلك البلاد، فأصبح من أكبر العلماء وألف العديد من الكتب. وقد إجتمع مع سلطان سنغاي الأسكيا محمد حيث ربطت بينهما علاقات وثيقة في مسائل الدين والسياسة. وكتب له وصية عظيمة بمثابة دستور وضع فيه القواعد الشرعية في الحكم، فألف كتابا أجاب فيه عن أسئلة الأسكيا.[2] وافته المنية سنة 909هـ-1503م بعدما ترك لنا العديد من المؤلفات المهمة منها: "معنى اللبيب في مشروع مختصر خليل"، "المنسيات"، "أجوبة المغيلي على أسئلة الأسقيا محمد".[3]

- **الإمام أبو القاسم التواتي:** هو من أشراف مدينة توات قدم مع جماعة من علماء وصلحاء وشرفاء مدينة تافيلات إلى مدينة تمبكتو[4]. شيد بيته قرب المسجد الكبير، ويعتبر أول من إبتدأ قراءة المدائح في المدينة، وكان الأسكيا محمد يصلي خلفه ويطلب منه الدعاء له، كما قام بإنشاء مقبرة كبيرة أوقف عليها ستين حزبا من القرآن الكريم.[5]

- **منصور الفزاني:** علم من أعلام ليبيا الذين وهبوا أنفسهم وكرسوا حياتهم لنشر العلم في بلاد السودان الغربي، ويرجع أصله إلى مدينة فزان بليبيا.[6]تولى منصب الإمامة والقضاء في تمبكتو سنة 935هـ-1528م، وكان ذلك بعد وفاة أستاذه أبو القاسم التواتي.[7]

---

[1]- محمد بن عبد الكريم المغيلي: المصدر السابق، ص08.

[2]- عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي، المرجع السابق، ص135.

[3]- سعد غيث مطير: الثقافة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص269.

[4]- الأرواني : السعادة الأبدية، المصدر السابق، ص101.

[5]- الأرواني: نفس المصدر، ص161.

[6]- نفسه.

[7]- السعدي : المصدر السابق، ص59.

-**الفقيه العاقب بن عبد الله الأنصمي المسوفي:** تعود أصوله إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية، ولد بقرية أنضمن قرب تكدة، أخذ العلوم عن الإمام السيوطي عندما حج.[1] كان له العديد من الأبحاث والنزاعات في عدد كبير من المسائل والنوازل الفقهية مع الفقيه مخلوف بن علي بن صالح البلبالي، إذ يقول السعدي: "...ودخل بلاد السودان كتكو وكشن وغيرها وقرأ هناك وجرى له أبحاث في النوازل مع الفقيه العاقب الأنصمي."[2] كان حيا قريبا من 950م، له عدة مؤلفات خاصة منها: "دنية الخالق"، "أجوبة الفقير عن أسئلة الأمير".[3]

- **الفقيه إبراهيم الزلفي:** من مشاهير القراء البارزين، المقرئ عالم التجويد، كان من أشهر المدرسين في مدرسة الفقيه أبي القاسم التواتي الواقعة قبالة المسجد الجامع بتمبكتو.[4]

- **الفقيه فياض الغدامسي:** أصله من غدامس، إشتهر بالعدل والإستقامة وحضي بثقة الحكام والأهالي، كما تولى تزكية الشهود عند القضاة، فمن شهد له بالعدالة إعتبر عادلا ومن لم يشهد ألغيت شهادته مهما كانت شخصيته. ولا يزال في ذلك المنصب حتى توفي، فشيعت جنازته في موكب عظيم ضم أشهر فقهاء تمبكتو وفي مقدمتهم الفقيه محمود بن عمر أقيت مع كبر سنه وضعف جسمه.[5]

-**والد الشيخ عبد الله بن أبي بكر الغدامسي:** إسمه الشيخ أبو بكر بن بلقاسم الغدامسي، أصوله من غدامس، إنتقل إلى بلاد السودان الغربي كتاجر ومعلم بأغاديس. أقام بمدينة تمبكتو وعمل على تمتين أواصر العلاقات والإتصالات الثقافية من خلال المجالسات العلمية التي أحياها بصفته معلم، توفي سنة 1050هـ-1641م.[6]

---

[1]- عبد الحميد مقاديم: المدارس العلمية، المرجع السابق، ص166.

[2]- السعدي: المصدر السابق، ص41.

[3]- أحمد بابا التمبكتي: نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ج1، ص399.

[4]- السعدي: المصدر السابق، ص36.

[5]- سعد غيث مطير: الثقافة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص129.

[6]- نفسه، ص135.

- **الفقيه محمد بن بدر بن محمود الفزاني:** يصفه السعدي بالفاضل النافع، كان من الذين قطنوا بمدينة تمبكتو، توفي سنة 1037هـ-1628م ودفن بالجامع الكبير.[1]

المبحث الثاني: القضاء والقضاة في مدينة تمبكتو:

المطلب الأول: القضاء تعريفه وشروطه:

1-تعريف القضاء:

لغة: لفظ القضاء مصدر جمعها أقضية وقضايا، قضى يقضي، قضاء، أي حكم والقضاء ممدود ومقصور، وقضى عليه قضاءً مقضيا، ورجل قضى سريع القضاء، وإستقضى صار قضيا. لفظ القضاء لفظ مشترك لعدة معان تستعمل كدلالات مختلفة فقد يكون دالا على إنقطاع الشيئ وتمامه فيقال قضى الحاكم، إذا فصل في الحكم وقضى دينه أي قطع لغريمه قبله بالأداء، وقضيت الشيئ أي أحكمت عمله. وقد يأتي بمعنى الأمر والحكم، أو الوعد والأجل، أو بمعنى الأداء والإنهاء.[2]

إصطلاحا: إختلف في تعريفه العديد من العلماء، فمنهم من قال أن القضاء هو الفصل في الخصومات وقطع المنازعات على وجه مخصوص. أما إبن رشد المالكي فقال بأنه الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام. في حين عرفه التهانوي بأنه قول ملزم يصدر عن ولاية عامة. ويستفاد من هذه التعريفات أنها تتفق على إلزامية القضاء، وأن هذا الإلزام هو موجب حكم الشرع فليس بقضاء فصل الخصومات بغير أحكام الله المستقاة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.[3]

حينما تتحدث المصادر التاريخية كالسعدي ومحمود كعت عن تاريخ مملكة سنغاي في عهد الأساكي، نلمس تلك الأهمية الكبيرة التي كان يحظى بها القضاة أنذاك. أما أحمد بابا التمبكتي فقد أورد لنا قوائم طويلة بأسماء القضاة الذين تولوا منصب القضاء في مدينة تمبكتو،

---

[1]- السعدي: المصدر السابق، ص299.

[2]- محمد مولاي: المرجع السابق، ص ص62-63.

[3]- نفسه، ص ص63-64.

ويصفهم بالإستقامة الواسعة لدى الأمراء وبين أفراد الشعب. فقد كان منصب القضاء منصبا صعبا يرفضه أهل التقوى والورع، خوفا من إصدار حكم جائر من غير قصد فينالهم العقاب الرباني . وقد يجبر السلطان الفقيه على تولي أمر القضاء.[1]وكان القضاة في مملكة سنغاي على أيام الأساكي يعينهم الملك، فالأسكيا محمد حيث تولى السلطة نصب في تمبكتو قاضيا،[2]وإلى جانب القاضي قاض مساعد يفصل في قضايا الأجانب بحكم أن المدينة مدينة تجارية يقصدها التجار من كل جهة.[3]

2-شروط تولي منصب القضاء:

يشترط على القاضي أن يكون مسلما حرا فلا يجوز تولية القضاء لغير المسلم، كما يجب أن يكون عدلا لم يرتكب كبيرة، وأن يكون ذكرا لا أنثى. كما يجب أن يكون معفى الحواس أي سليم البصر والسمع والكلام، لأن هذه الحواس هي التي تمكنه من معرفة ما يقضي فيه أو له أو عليه.[4]

كما يشترط في القاضي بالدرجة الأولى أن يكون عالما فقيها متحليا بالنزاهة والورع، فلم يشترط العلم في بادئ الأمر فكان القضاة من العرب، ولما كثر المثقفون الذين تعلموا في فاس والقاهرة، عمل قسم منهم في القضاء وفي الخطابة وإمامة المساجد، ولم يكن يتسلم منصب القضاء إن لم يكن أهلا له خوفا من غضب الله.[5]

المطلب الثاني: مهام القضاة ومكانتهم لدى السلاطين والعامة في حاضرة تمبكتو:

لقد كان لطبقة العلماء في السودان الغربي كافة دور كبير في توجيه المجتمع وإصلاحه، خاصة وأنهم كانوا يحظون بمكانة مرموقة في نفوس العامة والخاصة، وقد أسندت لهم العديد من المهمات بحسب مظاهر الحياة اليومية.

---

[1]- عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي، المرجع السابق، ص ص73-74.

[2]- محمود كعت: المصدر السابق، ص 60.

[3]- نعيم قداح: **حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، د.ت، ص171.

[4]- محمد مولاي: المرجع السابق، ص 68.

[5]- نعيم قداح: المرجع السابق، ص 159.

1-مهام القضاة:

وتتمثل في الفصل في الأمور التي تتصل بحياة الناس اليومية، والحكم في الخلافات الشخصية من طلاق وزواج وديون وقروض وتجارة وعقارات وما شاكلها.[1]وقد أورد صاحب مخطوط جامع فروع العلم عن مهام القاضي بقوله: "وأما القاضي فهو نائب الإمام في تنفيذ الأحكام الشرعية، فإن كانت الأرض سائبة كما في تمبكتو وما حولها، أو في حكم السائبة... فعلى القاضي أن يفصل في هذه المسائل." وهذا ما يوضح أن مهام القاضي لا تقتصر على الأحكام الشرعية فقط، بل لديه مهام أخرى منوطة به وهي مراقبة التسيب في الزراعة ونحوها.[2]

كما كان القاضي يتكفل بمهمة الإشراف على الأوقاف وتوزيع الصدقات من مداخيلها على الفقراء والمساكين والمحتاجين وطلبة العلم ورحلات الحجيج وملجأ العجزة، مثلما فعل القاضي العاقب بن محمود الذي تلقى من الأسكيا داوود ما مقداره أربعة آلاف من الذهب ووجبات الفقراء وهي أربعة آلاف كيس من الحبوب سنويا، فقام بتوزيعها على المساكين والعجزة، حيث أقيم لهم ملجأ يأويهم يسمى جنان المساكين.[3]

وقد تولى القضاة مهمة الإشراف على سير العملية التعليمية وتنظيمها من خلال العناية بتوفير السكن للوافدين من الطلاب وتوزيع المواد الغذائية عليهم، وإعانة معلميهم حتي يتمكنوا من القيام بمهام التعليم. إلى جانب التعليم تولى القضاة مهمة الإشراف على بناء المساجد وإنجازها،[4] حيث إعتبرت هذه المهمة من صلاحيات القاضي، فكان يشرف على جمع الأموال والنفقة، حيث كانوا يتلقون الهبات من السلاطين بغرض تشييد المساجد أو ترميمها.[5]

كما نجد أن القضاة كانوا يملكون صلاحية تعيين الأئمة والخطباء، فقد إضطلعوا بهذه المهمة من تعيين الإمام الراتب للمسجد وإختياره ممن كانت تتوفر فيه شروط العلم والورع

---

[1]– عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي، المرجع السابق، ص75.

[2]– الهادي مبروك الدالي : التاريخ السياسي والإقتصادي، المرجع السابق، ص 136.

[3]– محمد مولاي: المرجع السابق، ص 107.

[4]– مهدي رزق الله أحمد : المرجع السابق، ص 225.

[5]– محمد مولاي: المرجع السابق، ص 108.

والتقوى، ودليل ذلك ما قام به القاضي محمود بن عمر أقيت من تعيين الفقيه أندغ محمد بن المختار إماما لمسجد سنكري سنة 915هـ.[1]

وقد أشرف القضاة على مهنة الحرف والأشغال اليدوية، خاصة وأن مدينة تمبكتو عرفت مراكز التكوين التي تحدث عليها محمود كعت فقدر عددها بستة وعشرون مركزا، تحتوي على مؤسسات للخياطة تسمى "تندي"[2]. فحرص القضاة على تنظيم كل حرفة في شارع أو حي، وإقامة الأسواق وتنظيمها ومراقبتها عن طريق أعوان مخصصين لذلك، وكذا تسهيل عملية جمع الضرائب وإحصاء عدد الحرفيين. كما كان لهم دور كبير في إقامة الإحتفالات والمناسبات الدينية عن طريق تنظيمها والتجهيز لها.[3]

2-مكانة القضاة لدى السلاطين والعامة:

لقد كان القضاة يحظون بمكانة سامية في تمبكتو، وخاصة في عهد مملكة سنغاي الإسلامية على أيام الأسكيا الحاج محمد، وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى الثقة الكبيرة في أحكامهم وإحترام الناس لأوامرهم. فنجد أنه كانت لهم أدوار توجيهية في الجانب السياسي، ودليل ذلك إتصال الأسكيا محمد بالإمام المغيلي بغاية وضع طريقة صحيحة في الحكم، والقواعد التي يمكن أن يسير عليها في بناء الإمارات السياسية، وهو ما تجلى في رسائله التي تخص فقه السياسة الشرعية لتسيير شؤونها.[4]

وكان القضاة دائما ما يغلظون القول للسلاطين إذا رأو منهم إنحرافا في تطبيق مبدأ من المبادئ الإسلامية أو الحياد عن السنة والخلق الإسلامية. ولهم في هذا الجوانب مواقف مشهورة منها ما وجدت بين الأسكيا محمد والقاضي محمود بن عمر أقيت وخلاصة ذلك أن الأسكيا أرسل رسالة إلى تمبكتو في أمر من الأمور فردهم القاضي محمود على أعقابهم

---

[1]- أبو بكر إسماعيل ميڤا: المرجع السابق، ص 287.

[2]- محمود كعت: المصدر السابق، ص 180.

[3]- محمد مولاي: المرجع نفسه، ص336.

[4]- نفسه، ص344.

فعاتبه الأسكيا على ذلك. ولكن عندما أخبره القاضي محمود أنه سبق وأن طلب منه النصح والحيلولة بينه وبين النار، فطلب الأسكيا من القاضي العفو والصلح، وأكرمه إكراما جميلا، ودعى الله أن يقبضه إليه قبل أن يقبض القاضي محمود خوفا من ألا يجد من يحول بينه وبين جهنم إذا مات القاضي محمود قبله.[1]

وقد عرف على القاضي صراحته أمام الجميع بمن فيهم السلطان، وإذا شاهد خطأ من السلطان يزجره ولا يعبأ بمنصبه. نجد مثلا تلك الإهانة التي قدمها شيخ الإسلام أبو البركات إلى الأسكيا موسى، والذي تولى أمر البلاد بعد إغتصاب الحكم من والده الأسكيا محمد، فعند مجيئه الأول إلى مدينة تمبكتو بقصد زيارة القاضي أبو البركات فلم يقابله بوجهه، وعندما سأله الأسكيا موسى عن السبب قال له: لا أستقبل وجها خلع أمير المؤمنين أسكيا الحاج محمد، فقال له : ما فعلت ذلك إلا خوفا على نفسي.[2]

كما وقد كان القضاة يشفعون للخارجين عن القانون وعن طوع السلطان أحيانا، وكان منزل القاضي مكانا مقدسا ومحرما، يلجأ إليه الفارون من السجون ومن جور الحكام، ويقصده الخائفون من المتابعة السلطانية وغيرها.[3] وإعتبر منزله مكانا آمنا لا يجوز للسلطة الوصول إليه فكان القاضي ينظر في قضايا هؤلاء المستجيرين به ويحكم فيها.[4]

وكانت أبوابهم مفتوحة لجميع الناس ممن يريدهم في حل مشاكلهم أو يتعلم منهم ما يهمه في مسألة ما. وكانوا متواضعين إلى حد كبير بحيث يقبلون أن ينقلوا أبحاثا لتلاميذهم، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهارا، وقول كلمة الحق حتى ولو في وجه سلطان جائر، مما جعل أثرهم عظيما في المجتمع الإسلامي ودورهم كبيرا في الدعوة إلى الإسلام والتوجيه السليم.[5]

---

[1]– محمود كعت: المصدر السابق، ص ص60–61.

[2]– السعدي: المصدر السابق، ص 86.

[3]– عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي، المرجع السابق، ص 77.

[4]– الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والإقتصادي: المرجع السابق، ص 135.

[5]– مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص ص539–540.

المطلب الثالث: القضاة في مدينة تمبكتو وأشهر مؤرخيها خلال القرن 10هـ-16م:

1- قضاة مدينة تمبكتو:

- القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت ت(955هـ-1542م).[1]

-القاضي عبد الرحمان بن أبي بكر ت خلال القرن 10هـ-16م: له باع علمي كبير، من علماء تمبكتو الذين إشتهروا في المنطقة لمدة عشرة أعوام، تولى القضاء لما حج القاضي محمود بن عمر حيث إستخلفه فيه.[2]

-القاضي محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت ت(973هـ-1565م)[3]: كان عالما جليلا إشتهر بالذكاء والفهم، نشأ في بيت علم وصلاح ورياسة وجاه ودين، ظل يتلقى العلم حتى شهد له أشياخه به. أخذ عنه عدة علماء منهم أحمد بن الحاج الذي أخذ عنه البيان والمنطق.[4] تولى القضاء بعد وفاة والده محمود وكان عمره خمسة وأربعين سنة مكث فيه 17سنة حتى توفي.[5]

- أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت ت (991هـ-1583م).[6]

-العاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيت ت(991هـ-1583م)[7]: تولى منصب القضاء بعد وفاة أخيه محمد في عهد السلطان أسكيا داوود، يقول عنه أحمد بابا:"...كان مسدادا في الأحكام، صلبا في الحق ثبتا فيه لا تأخذه في الله لومة لائم، قوي القلب، مقداما في الأمور العظام التي توقف فيها غيره، جسورا على السلطان فمن دونه وقع له وقائع، وكانوا

---

[1]- البرتلي: المصدر السابق، ص ص29-30 ؛ أنظر: المطلب الثاني، المبحث الأول من هذا الفصل.

[2]- عبد الرحمان محمد ميڤا: **الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن 8 إلى القرن 13هـ**، منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية، د.ط، المملكة المغربية، 2011، ص326.

[3]- السعدي المصدر السابق، ص 33.

[4]- أحمد بابا التمبكتي: نيل الإبتهاج: المصدر السابق،ج2، ص240.

[5]- محمد مولاي: المرجع السابق، ص 171.

[6]- أحمد بابا التمبكتي: كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج1، ص137 ؛ أنظر: المطلب الثاني، المبحث الأول من هذا الفصل.

[7]- السعدي : المصدر السابق، ص34.

يخضعون له ويطاردونه في كل ما أراد، إذا رأى ما يكون عزل نفسه عن القضاء وسد بابه، ثم يلاطفونه حتى يرجع."[1]

-القاضي محمد بن محمود بغيغ ت(1002هـ-1593م).[2]

-القاضي عمر بن محمود ت(1003هـ-1594م): وهو أبو حفص عمر بن محمود بن عمر بن محمد أقيت، تولى منصب القضاء في تمبكتو سنة 933-هـ-1585م، بعد رفضه له وإلحاح كبير من الأسكيا محمد.[3] ويعتبر من القضاة الذين حلت بهم كارثة الغزو المغربي وأخذ أسيرا إلى مراكش وتوفي بها.[4]

- القاضي محمود بن القاضي عبد الرحمان ت 1016هـ-1617م: تولى قضاء تمبكتو سنة 1003هـ-1593م، مكث فيه أربعة عشرة سنة وبضعة أشهر، لما رجع أحمد بابا التمبكتي من منفاه ذهب إليه ليهنئه.[5] توفي في شهر ذي القعدة من عام 1016هـ-1617م.[6]

-القاضي محمد بن أحمد ت(1017هـ-1617م): هو القاضي محمد بن أحمد بن القاضي عبد الرحمان بن أبي بكر، عالما زاهدا ورعا، ويعتبر أول القضاة الذين تولوا القضاء في تمبكتو في عهد المغاربة، حيث عين من طرف الباشا محمود بن علي زرقون، حيث كان عمره خمسين سنة، ومكث فيه خمسة عشرة سنة.[7]

-القاضي محمد بن أندغ محمد ت(1020هـ-1611م): تولى القضاء وهو في سن 60سنة، ومكث في منصبه أربعة سنوات.[8] توفي عام 1020هـ-1611م.[9]

---

[1]- أحمد بابا التمبكتي: نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ج2، ص218-219.

[2]- السعدي: المصدر السابق، ص ص43-45 ؛ أنظر: المطلب الثاني، المبحث الأول من هذا الفصل.

[3]- نفسه، ص34.

[4]- مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص 342.

[5]- عبد الرحمان محمد ميڤا: المرجع السابق، ص 335.

[6]- السعدي: المصدر السابق، ص 307.

[7]- السعدي: نفس المصدر، ص 308.

[8]- نفسه، ص208.

[9]- سعد غيث مطير: الثقافة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 299.

-**القاضي أحمد بن أندغ محمد ت(1045هـ-1635م):** هو الفقيه والقاضي أحمد بن أندغ محمد بن أحمد بن أحمد أندغ محمد، ولد سنة 970هـ-1562م، عاش في مدينة تمبكتو وتعلم بها.[1]خلف أخاه محمد في القضاء والتدريس وعمره 50سنة، وتوفي سنة 1045هـ-1635م.[2]

- **القاضي محمد الأمين بن القاضي محمد ت(1020هـ-1622م):** هو إبن القاضي محمد بن أندغ محمد، كان عالما فقيها، تولى منصب القضاء في تمبكتو وتوفي سنة 1020هـ-1622م.[3]

2- مؤرخو مدينة تمبكتو:

-**الفقيه والقاضي محمود كعت:** هو الفقيه محمود بن المتوكل من أسرة إشتهرت بالعلم والصلاح، ولد في مدينة كرمن، من أصل ونكري.[4]رحل إلى مدينة تمبكتو وتفقه فيها، تعلم اللغة والحديث والتاريخ، تولى منصب القضاء في تمبكتو وغاو، وقد كان مقربا من الأسكيا محمد إذ رافقه في رحلته للحج.

ويعتبر من أحد العلماء الذين أرخوا لبلاد السودان الغربي، وساهموا في إثراء الحركة الثقافية بها، ويعد كتابه "تاريخ الفتاش" المصدر الأول في تاريخ المنطقة.[5]توفي محمود كعت يوم الإثنين أول ليلة من محرم الفاتح للعام الثاني بعد المئة قرب طلوع الفجر ودفن بمجاورة قبر الفقيه أحمد بن الحاج أحمد.[6]

-**العلامة أحمد بابا التمبكتي:** هو أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت، بن عمر بن علي بن يحي الصنهاجي، الماسي، المسوفي، وعرف أيضا بالسوداني التكروري.

---

[1]- سعد غيث مطير: الثقافة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص ص298-299.

[2]- البرتلي: المصدر السابق، ص 39 ؛ السعدي: المصدر السابق، ص 308.

[3]- عبد الرحمان محمد ميڤا: المرجع السابق، ص 290.

[4]- محمود كعت: المصدر السابق، ص ص9-10.

[5]- أبو بكر إسماعيل ميڤا: المرجع السابق، ص ص209-210 ؛ مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص 352.

[6]- عبد الحميد مقاديم: المدارس العلمية: المرجع السابق، ص 172.

ولد ليلة الأحد 21ذي الحجة عام 963هـ، الموافق ل26أكتوبر 1556.[1] إهتم بالدراسة والتحصيل منذ الصغر، بدأ دراسته الأولية بالإلتحاق بمعهد والده، فدرس عليه أشياء عدة وأجازه وسمع عنه قراءة الصحيحين والموطأ والشفاء. ثم إنتقل إلى المرحلة العليا التي تميزت فيها الدراسة بالعمق في القضايا التفصيلية والشروح الدقيقة.[2]

قرأ على عمه أبي بكر التفسير والحديث والفقه والأصول والعربية والبيان، وغيرها على شيخه العلامة محمد بغيغ، ولازمه أكثر من عشرين سنة فختم عليه مختصر خليل بقراءته وقراءة غيره، وختم عليه الموطأ وتسهيل إبن مالك قراءة وبحثا وتحقيقا بثلاث سنين... ودروسا من الرسالة والألفية.[3]إشتغل أحمد بابا بالقضاء والتدريس في مساجد تمبكتو، وإستمر على ذلك الحال إلى غاية تعرضه للإعتقال من طرف الباشا محمد بن زرقون بعد الغزو المغربي على السودان الغربي وكان عمره أنذاك 36 سنة، وتم نفيه هو وأسرته وبعض العلماء إلى مراكش.[4]

وبعد الإفراج عنه سنة 1595م، عمل على نشر العلم في المغرب الأقصى ومساجده وتتلمذ على يده العالم الركراكي مفتي فاس، وقاضيها أبو القاسم بن أبي النعيم الغساني وقاضي مكناسة.[5]سمح له السلطان مولاي زيدان بالرحيل والعودة إلى سنغاي سنة 1016هـ-1607م، فواصل تدريسه في مساجد تمبكتو إلى أن توفي في شهر أفريل سنة 1036م-1626م[6]. له عدة مؤلفات ناهزت خمسين كتابا منها: "معراج الصعود إلى الحكم مجلوب السود"، "تحفة

---

[1]- البرتلي: المصدر السابق، ص ص 31-37.

[2]- السعدي: المصدر السابق، ص ص 41-43.

[3]- نفسه، ص ص 45-46.

[4]- محمد مولاي: المرجع السابق، ص 177.

[5]- محمد الغربي: المرجع السابق، ص 540.

[6]-Mahmoud A.Zouber: **Ahmed Baba de Tombouctou(1556-1627)et son œuvre.** Ed. Maisonneuve et Larose, Paris, 1976, pp. 32-34.

الفضلاء"، "جلب النعمة ودفع النقمة"،"تنبيه الواقف على تحرير نية الحالف"، "نيل الإبتهاج بتطريز الديباج"،"كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج".[1]

– **الفقيه عبد الرحمان السعدي:** وهو الفقيه عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران السعدي التمبكتي، ينتمي إلى أسرة الفقهاء، ولد ليلة عيد الفطر سنة1004هـ–1595م. تلقى تعليمه الأول بتمبكتو حيث تتلمذ على يد الشيخ أحمد بابا، والقاضي محمود بن أبي بكر بغيغ. تولى إمامة مسجد سنكري سنة1036هـ–1626م،[2]تولى مهمة الكتابة للباشا محمود بن عثمان بعد الغزو المغربي لتمبكتو. توفي سنة 1066هـ–1655م، وقد ترك لنا أهم كتاب في تاريخ السودان الغربي وعنوانه "تاريخ السودان"[3].

المبحث الثالث: أثار الثقافة العربية الإسلامية على الجوانب الحضارية في مدينة تمبكتو خلال القرن 10هـ–16م.

المطلب الأول: الأثر الفكري:

كانت مدينة تمبكتو خلال القرن 10هـ–16م، مدينة زاخرة بالعلوم يؤمها العلماء وطلاب العلم من شتى أنحاء العالم الإسلامي، وترعرع الدين الإسلامي في مساجدها وأصبحت مجمعة العلماء من كل حدب وصوب، وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى تشجيع أهل تمبكتو وملوكها للحركة العلمية والثقافة العربية الإسلامية. فغدت هذه المدينة مركزا للتعليم الإسلامي، حيث أصبحت مركزا مهما للمكتبات الخاصة ولتأليف ونسخ الكتب[4].

فقد ساهمت المؤثرات الثقافية العربية الإسلامية في تمبكتو من خلق جيل من كبار العلماء السودانيين، الذين نالوا شهرة ومقدرة علمية أهلتهم إلى منح الإجازات العلمية لبعض

---

[1]– عبد القادر زبادية: **دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د.ت، ص126.

[2]– البرتلي: المصدر السابق، ص176.

[3]– عبد الحميد مقاديم: المدارس العلمية، المرجع السابق، ص176.

[4]– محمد فاضل علي باري: المرجع السابق، ص101.

علماء الشمال الإفريقي وغيرهم. ولم يقف الأمر عند ذلك بل وصل إلى درجة مشاركتهم في حركة التأليف في مختلف العلوم المعروفة في عصرهم[1].

كما وتميزت مدينة تمبكتو عن غيرها بالثقافة العربية الإسلامية ذات طابع مغربي بحت، لم تتداخله أية تأثيرات أخرى لأنها تسربت إليها أهم المراكز الثقافية والفكرية في المغرب الأقصى والأندلس[2] فبرزت البيوتات العلمية التي شكلتها عائلات علمية عريقة كان لها الفضل الكبير في نشر الثقافة العربية الإسلامية في المدينة، من أهمها عائلة أقيت، عائلة أندغ محمد، عائلة بغيغ...وغيرها.

فقد وصل بعض علماء تمبكتو إلى مستوى لا يقل عن مستوى المدارس الإسلامية الأخرى، ومن العلماء الذين ذكرهم السعدي أحمد بن عمر بن محمد أقيت الذي كان له أكثر من 700مجلد. وكانت جامعة سنكري في هذا العهد قد تمتعت بسمعة كبيرة جدا تجاوزت حدود السودان ووصلت إلى مشارف شمال إفريقيا والمغرب.[3]والواضح أن الفقه المالكي كان من إختصاصات علماء تمبكتو، فكتب التاريخ لا تذكرهم إلا بكلمة الفقهاء.[4]

وكان هناك إتصال وثيق بين علماء تمبكتو بالمراكز الثقافية في شمال إفريقيا لتبادل المعارف والمعلومات معهم، حول آخر المستجدات في العالم الإسلامي والإستفادة من العلوم الإسلامية في كافة مجالاتها. فنجد أن علماء تمبكتو قد أنتجوا آلاف المخطوطات المكتوبة بالخط العربي في مختلف مناحي العلوم الإسلامية، إضافة إلى بقية فروع المعارف الأخرى في الأدب والثقافة.[5]

---

[1]– سعد غيث مطير: الثقافة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص224.

[2]– حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص264.

[3]– أبو بكر إسماعيل محمد ميڤا: "تاريخ الثقافة العربية الإسلامية والتعليم في السودان الغربي (إفريقيا الغربية) من القرن 4هـ إلى غاية القرن 13هـ"، **مجلة الدارة**، الربيع الأول، ع 2، 1993، ص ص249–250.

[4]– ج–ت. نياني: **تاريخ إفريقيا العام: سينكي مودي سيسوكو: "إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر"**، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام اليونسكو، بيروت، مج4، 1988، ص220.

[5]– علي محمد عبد اللطيف: المرجع السابق، ص102

المطلب الثاني: الأثر السياسي:

لقد تجلت مظاهر الحضارة العربية الإسلامية في مدينة تمبكتو بشكل ملفت جدا خلال القرن 10هـ-16م، في عهد مملكة سنغاي على أيام الأساكي. وترتب عليها تكوين حكومة ونظم إدارية متقدمة، حيث إنتقلت منها المجتمعات القبلية المتفككة إلى مجتمع الدولة المركزية، وحدث الإمتزاج الكامل بين النظم العربية الإسلامية وبين الأنماط الإفريقية المحلية.[1]

فقد عرف على الأساكي حسن إدارتهم لمملكتهم، الأمر الذي أسهم في إنعاش الحياة الثقافية والإقتصادية في حاضرة تمبكتو، والتي كانت تحظى بتنظيم إداري محكم يترأسه القاضي بجميع صلاحياته التي لا تقبل الطعن سواءا من العامة أو الخاصة. فكان في المدينة عدد كبير من الموظفين منهم "موندز" و"الأسارا" وهو أشبه بمأمور الشرطة وكان مسؤولا عن الأسواق وتنظيم الأحكام التي يصدرها القاضي. فكان هناك مفتشو المكاييل والموازين وجباة الضرائب ورجال الجمارك ورؤساء مختلف الجماعات الحرفية ورؤساء المجموعات العرقية، وقد إنطوت كل مجموعة في حي خاص بها. وكل هؤلاء الناس كانوا يشكلون نواة حكم إدارة فعالة في مدينة تمبكتو وسائر المدن الكبرى في السودان الغربي.[2]

فكان الأمن سائدا، وكان الناس شرفاء والقضاة عادلين لا أثر للرشوة في المملكة، وكانت الشرطة ذات أثر فعال لدرجة أن الطفل كان يذهب إلى السوق فلا يغشه أحد ولا يسرقه سارق. وكل هذا دليل على مدى تجذر الحضارة العربية الإسلامية والدين الإسلامي في مدينة تمبكتو.[3]

---

[1]- عبد الله عيسى: "الإسلام كمرجعية لمملكة سنغاي في غرب إفريقيا خلال القرن 10هـ-16م"، **المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل**، مج 21، ع1، 2020، ص76.

[2]- ج-ت. نياني: المرجع السابق، ص211.

[3]- محمد فاضل علي باري: المرجع السابق، ص127.

المطلب الثالث: الأثر الإقتصادي:

لقد عرفت تمبكتو جميع المعارف التي تدفقت إليها من الشمال الإفريقي خلال القرن 10هـ-16م، وبرز ذلك في المجال الإقتصادي. فقد سعى سلاطين مملكة سنغاي وأولهم الأسكيا الحاج محمد إلى إخضاع المعاملات التجارية للشرع الإسلامي، حيث قام بإختيار أمناء ونزهاء لجمع الزكاة وتحصيل الضرائب وتوزيعها على مستحقيها. كما قام بتوحيد المكاييل والموازين وحارب الغش والتدليس في البيع، وفرض عقوبات على هذه التجاوزات.[1]

كما إشتهرت تمبكتو عالميا ببيع لمخطوطات التي أصبح التجار عن طريقها يتحصلون على أرباح طائلة فاقت كثيرا مما يتحصلون عليه من السلع الأخرى، وهذا ما يؤكده الحسن الوزان بقوله: "ويباع هنا الكثير من الكتب المخطوطة التي تأتي من بلاد البربر ويجنى من هذا البيع ربح يفوق كل بقية السلع."[2]وهذا يدل على عظم الإقبال والتلهف على إقتناء الكتب.

فقد إشتد الطلب على الكتب وهي مخطوطة، فكان أهل تمبكتو يقبلون على شراء الكتب العربية ويدفعون لأصحابها من شمال إفريقيا أثمانا مرتفعة.[3] فكانت أسعارها في سوق تمبكتو تزيد عن أسعارها في المغرب، وقد تصل إلى الضعف ونصف الضعف تقريبا.[4] ويشير بول مارتي إلى كثرة الكتب في تمبكتو بقوله: " مع أن الطباعة لم تصل إلى تمبكتو بعد، إلا أن الكتب لم تنقص لأن تجار بلاد المغرب كانوا ينقلون المخطوطات إلى السودان وكانت تباع أكثر من أي بضاعة أخرى."[5]وهذا ما يعكس مدى تأثير الثقافة العربية الإسلامية في مدينة تمبكتو.

---

[1]- عبد الله عيسى: الإسلام كمرجعية لمملكة سنغاي، المرجع السابق، ص ص79-80؛ أنظر: الملحق رقم 7.

[2]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص167.

[3]- نعيم قداح: **إفريقيا الغربية في ظل الإسلام**، مر: عمر الحكيم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، نيويورك، د.ت، د.ط، ص75.

[4]- عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي، المرجع السابق، ص 36.

[5]- Paul Marty**: Etudes sur l'Islam et les tribus du Soudan.** Ed**.** Ernest Leroux, Paris, T.2, 1921, p. 126.

المطلب الرابع : الأثر الاجتماعي:

مع خضوع المنطقة للمؤثرات العربية الإسلامية، صارت الكثير من العادات الإجتماعية تسير إلى حد كبير وفقا للشريعة الإسلامية. فأصبحت أسمائهم عربية، وتغير نسب الفرد من الأم إلى الأب. كما تأثر أهالي تمبكتو بمعنى الحياة بعد الموت فنجدهم يسعون إلى التزود بالأعمال الصالحة والتقرب إلى المولى عز وجل، فكان إذا مات أحدهم أقاموا له إجراءات دفنه كما دعا لها الدين المحمدي.[1]

وقد عرف على أهل تمبكتو باجتهادهم في التأنق في ملابسهم من أجل الصلاة والإغتسال يوميا والتباهي بملابسهم النظيفة. فقد أشار الحسن الوزان إلى أن أهل هذه المناطق يرتدون لباسا حسنا ويتلثمون بلثام كبير من قطن أسود وأزرق يغطون به رؤوسهم، لكن الأئمة والفقهاء يتلثمون بلثام أبيض كما أن الأسكيا داوود كان يرتدي ملابس مغربية عالية الجودة، قميص سوسي نسبة لسوس المغرب الأقصى.[2]

أما عن المأكل، فقد إنتقل العديد من الأطعمة التي كانت شائعة في الشمال الإفريقي مثل الكسكسي الذي كان يمثل الأكلة المفضلة والرئيسة في موائدهم، بالإظافة إلى لحم الغنم المشوي والذرة والعسل ولبن المواشي والقصب.[3]

أما عن الزواج ونظام الأسرة، فقد تمتعت المرأة بمكانة مرموقة منحها لها الإسلام، فكان لها الحق في إختيار الزوج ومنح لها أيضا الحق بالتصرف في أموالها وأملاكها.[4]في حين كانت طريقة الإحتفال بالمناسبات الدينية كلها طبقا لعادات وتقاليد المسلمين في سائر العالم العربي، ومنها الإحتفال بالمولد النبوي الشريف الذي كان يتم فيه إجتماع غفير من طرف أهالي تمبكتو وعلى رأسهم القاضي الذي ينظم لهذه المناسبة إحتفالا عظيما يتلى فيه القرآن

---

[1]– عبد الله عيسى: "أثر الإسلام على المجتمع الإفريقي خلال القرن 10هـ–16م مملكة سنغاي نموذجا"، **مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات**، ع36، حزيران 2015، ص287.

[2]– الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص163.

[3]– عبد الله عيسى: أثر الإسلام : المرجع السابق، ص ص288–289.

[4]– نفسه، ص ص289–290.

والمدائح الدينية كالبردة والهمزية، وتقدم فيه الهدايا والأموال للقراء والمادحين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقام به ولائم يتكفل بتنظيمها القاضي من أموال المحسنين وأهل الفضل[1].

كما يتم الإحتفال أيضا بقدوم شهر رمضان وحلول العيدين عيد الفطر وعيد الأضحى على طريقة العالم الإسلامي أجمع، فتتجمع لجنة الأهلة لتترقب ثم تعلن عن ثبوت رؤية هلال رمضان والعيدين، فتقام حفلات بهيجة تهتز بها تمبكتو من وقع التهليل والتكبير وزغاريد النساء تعبيرا عن فرحهم[2].

كذلك نجد أن الأعراس كانت تتم على الطريقة الإسلامية السائدة في العالم العربي من خطبة ومهر وعقد الزواج من طرف الزوجين والأولياء والقاضي والشهود، وكذا حفلات الحناء وحفل عقد القران الذي تزف فيه العروس إلى بيت زوجها في جو من الأفراح والأبهة.[3]كل هذه العادات والتقاليد تعكس الصورة الحية لإنتشار الثقافة العربية الإسلامية في مدينة تمبكتو، ومدى تمسك سكانها بها.

المطلب الخامس: الأثر العمراني:

لقد إمتزجت المعارف المحلية السودانية والمعارف العربية الإسلامية الوافدة من مناطق الوطن العربي، مما أدى إلى ظهور نتاج لهذا الإمتزاج برز في جميع المجالات أبرزها المجال العمراني. فنجد من القرنين 15و16م، قد برزت مدينة تمبكتو كمدينة حضرية مفتوحة بغير أسوار، فكانت السوق داخل المدينة. أما الضواحي فكانت الخيام والأكواخ وفيها تؤوي أقواما من الرحل، وكان وسط المدينة يعج بالدور المبنية من الطوب على الطراز السوداني ذات طابق أو طابقين وداخل كل بيت فناء تطل عليه الحجرات ويدلف إليه عن طريق ردهة.[4]

---

[1]– محمد مولاي: المرجع السابق، ص 339.

[2]– نفسه، ص ص339–340.

[3]– محمد مولاي: المرجع السابق، ص ص341–342.

[4]– ج–ت. نياني: المرجع السابق، ص217.

ومع إنتقال الفن المعماري الأندلسي إلى بلاد السودان الغربي، أصبحت مدينة تمبكتو أشبه ما يكون بالمدن المغربية في عمرانها، من ناحية بناء المخازن للبضائع في أسفل دور السكن، والتي كانت تتسم بالسطوح العالية والأبواب الضخمة حيث تعتبر هذه المظاهر الأساسية في المغرب. وقد عرفت أيضا القصور الشامخة والدور الرفيعة والمدارس الأنيقة والمساجد الفسيحة والمزخرفة.[1]

ومع مجيئ المعماري السوداني محمد فادي الذي أخذ عن المهندسين المغاربة فن البناء المسمى بالطراز المغربي الأندلسي المتمثل في الشكل المربع المسقوف بالتراب والمحاطة جوانبه من الأعلى بإطار قليل الإرتفاع، وكثيرا ما تتخلله ثقب صغيرة وكان موجودا خاصة بالمساجد ودور السادة في بداية الأمر، ثم بدأ إستعماله لدى الجميع. وقد عرف بعد ذلك الشكل الهرمي الذي إستعمل في بناء المساجد لا سيما في عهد الأسقيين.[2]

وقد عرف الفن المعماري في بلاد السودان الغربي تقليدا للمغاربة، إذ تميز عن غيره بلمسات سودانية وأشكالا مغاربية متأثرة بمواد البناء المقتبسة من المغاربة الأندلسيين.[3]وهذا دليل على إنتقال جميع أصول الفن المعماري المغربي الإسلامي إلى بلاد السودان الغربي فبرزت بشكل كبير خلال القرن 10هـ-16م.

---

[1]- مبخوث بوداوية: المرجع السابق، ص252.

[2]- نفسه، ص 253.

[3]- عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي، المرجع السابق، ص ص167-168.

خاتمة

يتضح لنا مما سبق ذكره في هذه الدراسة بأن مدينة تمبكتو كانت تعد حاضرة ثقافية لمختلف العلوم، فقد كانت ملجأ العلماء والفقهاء وملتقى الزهاد ومأوى أهل السنة. وعرفت أوج ازدهارها على عهد إمبراطورية صنغاي خلال القرن 16م، وما زاد في نموها وازدهارها نجد؛

- لقد ساهم إنتشار المذهب المالكي الذي كان سائدا في مدينة تمبكتو في تطور الحركة الفكرية، إذ تمذهب به ملوكها وسائر العلماء والفقهاء والعامة، لما عرفته هذه المدينة من مؤلفات وكتب المالكية التي أصبحت متداولة في سائر بلاد السودان الغربي، فكان لزاما أن يكون هذا المذهب مصدرا للتشريع القضائي الإسلامي في تمبكتو.
- لقد كان إنتشار اللغة العربية التي كانت مسايرة لانتشار الإسلام، باعتبارها لغة الدين الذي إعتنقه غالبية السكان، الفضل في دفع الحركة العلمية إلى المزيد من الإنجازات، وساهمت في تلاحم الحضارتين العربية والإفريقية.
- لعبت المساجد دورا عظيما في نشر الوعي العلمي والثقافي في حاضرة تمبكتو، وعملت على ترسيخ مقومات الشخصية الإسلامية، والحفاظ عليها باعتبارها مدرسة دينية ومركز تجمع العلماء والطلبة من أجل تدريس مختلف العلوم النقلية والعقلية في مختلف المراحل التعليمية.
- لقد ساعد اتساع التعليم وكثرة المدارس والكتاتيب وارتفاع عدد الطلبة إلى تجذر الحضارة الإسلامية من جهة، وأصبحت معلما من معالم الحضارة السودانية من جهة أخرى، وإن كانت لا تختلف عن مناطق العالم الإسلامي الأخرى. فتكونت تقاليد راسخة حول المعلم والطالب والإجازات العلمية. أما التعليم المهني فكان مقتصرا على الخياطة التي كان لها تعليم منظم إلى حد ما في المدينة.
- ساهمت الكتب والمكتبات في ازدهار الحياة الثقافية، كونها عاملا مهما ومظهرا أساسيا لتقييم مدى انتشار التعليم ومنتوجه. فعدد المجلدات التي نسخت وألفت تدل على صدى النشاط الذي عرفته كتابة ونسخ المؤلفات، إذ عرفت تمبكتو كسوق رائج لتجارة الكتب،

خاصة مع تطور حرفة الوراقين وحركة التأليف الواسعة والتي قام بها علماء وفقهاء هذه المدينة.

- لقد ساهمت الكثير من السبل في تمتين علاقات مدينة تمبكتو مع باقي دول شمال إفريقيا العربية، فكان أكبر سبيل لتفعيل هذه العلاقات هي قوافل الحج التي كانت أكبر رافد من روافد الدين والثقافة الإسلاميين.
- كان للرحلات العلمية الفضل الأكبر في تحقيق حركة علمية وثقافية واسعة ساهم فيها العديد من العلماء والفقهاء، الذين أثّروا تأثّروا بها من خلال تنقلهم إلى بلاد المشرق والمغرب سواء للحج أو للتعليم. في حين تأثر العديد من العلماء بالمستوى العلمي الذي وصلت إليه مدينة تمبكتو فكان أن هاجر العديد منهم إليها فساهموا بشكل كبير في تأليف الكتب ونشر الثقافة العربية بلسان عربي وخط مغربي ونشر المذهب المالكي.
- دعم انتشار العدل والقضاء النزيه والصارم في بعث الطمأنينة، بإعتباره من أهم ركائز الدولة، فنجد أن دولة سنغاي أولت أهمية بالغة لهذه المهنة، ومنحتها الإستقلالية والمكانة المميزة في جميع المجالات. فنجد أن قضاة تمبكتو قد منحت لهم صفة "قاضي القضاة". وقد برز في هذا المجال مجموعة من الأسر السودانية، أشهرها أسرة أقيت، أسرة بغيغ، أسرة أندغ محمد. وقد تخرج من هذه المدينة العديد من المؤرخين الذين أخذوا على عاتقهم مهمة التعليم والتثقيف، ونذكر منهم محمود كعت، أحمد بابا التمبكتي وعبد الرحمان السعدي.
- وقد برزت أثار الثقافة العربية الإسلامية في حاضرة تمبكتو في جميع المجالات الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، وهذا ما أدى إلى اكتساب هذه المدينة تلك النزعة الحضارية التي أسهمت في تحقيق الازدهار العلمي والثقافي لغرب إفريقيا عامة.

الفهارس

فهرس الأعلام	الـــرقـــم
الإسم	الصفحة
إبراهيم الزلفي	31-34-65.
إبراهيم المقدسي	47-62.
أبوبكر بن محمد أقيت	42-60-62-75.
أبوبكر بن بلقاسم الغدامسي	65.
أحمد بن أندغ محمد	83.
أحمد بابا التمبكتي	11-25-28-41-42-45-47-48-49-
	50-51-52-53-54-57-61-62-63-
	72-74.
أحمد بن أحمد بن عمر أقيت	42-45-47-51-54-60-62-72.
أحمد بن سعيد	35.
أحمد بن عمر أقيت	63-77.
أحمد بن محمد المقري	48.
أحمد معيا	54.
إسحاق الساحلي	31.
اسكيا داوود	25-31-36-44-69-72-80.
أسكيا محمد	16-24-25-34-36-47-50-59-64-
	67-70-71-74-79.
أسكيا موسى	71.
إسماعيل كعت	42-44.
ألفا صالح جور	59.
أندغ محمد بن المختار	69.
أمقشرن	10-12-13-14.
باباكور لن الحاج محمد بن الأمين	43-50.

التاجوري	.63-60
جلال الدين السيوطي	.65-62-59-48
جلال الدين المحلي	.48
أبو حفص المسوفي	.22
سني علي	.50-33-32-15
سيدعلي الجازولي	.32-23
الشريف يوسف الأسيوطي	.63-60
أبو القاسم التواتي	.65-64-48-31
القلقشندي	.62-47
فاطمة بنت أحمد الأغلالي	.33
فياض الغدامسي	.65
ابن فرحون	.52
العاقب بن عبد الله الأنصمي	.65-60-57-46
العاقب بن محمود أقيت	.72-69-57-42-35-33-31
عبد الرحمان السعدي	-48-45-41-34-33-32-28-13-11 .77-76-67-57-51-50
عبد الرحمان بن أبي بكر	.72
عبد السلام بن سليم الفيتوري	61
عبد السلام بن محمد دك الفلاني	.32
عبد الله بن أبي بكر الغدامسي	.65
-عبد الله البلبالي	.32-24
-عبد الله الكومي الغدامسي	.31
عبد الله بن عمران السعدي	.54
عمر بن أحمد أقيت	.43
عمر بن محمود بن عمر بن محمد أقيت	.73
كاتب موسى	.31-24

كاغ زكريا	.59
محمد الأمين بن القاضي محمد	.84
محمد بغيغ	-73-63-60-57-53-47-45-42-35 .75
محمد بن أحمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر	.83-43
محمد بن أحمد تغلب	.58
محمد بن أندغ محمد	.83-49-43
محمد بن زرقون	.75
محمد بن قلاوون	.58-27-23
محمد بن علي التواتي	.35
محمد بن عبد الكريم المغيلي	-64-63-57-54-53-49-48-46-25 .67
محمد بنعمر	.42
محمد بن محمود أقيت	.72-54-42
محمد تل	.59
محمد الزغراني التمبكتي	.36
محمد الفزاني	.36
محمد نض نض	.35-15
محمد الوديعة	.32
محمود بن أبي بكر بغيغ	.45
محمود بن القاضي عبد الرحمان	.83
محمود بن عمر أقيت	-69-65-62-60-57-47-42-34-25 .72-70
محمود بن عثمان	.76

محمود كعت	11-28-33-38-41-43-46-50-57-59-67-59-67-70-74.
محمود بن محمد الزغراني التمبكتي	49.
محمود بن محمد الونكري	35-76.
المختار النحوي	49.
المختار بن أندغ محمد	44-52.
المختار بن عمر النحوي	43.
منسى سليمان	12-24.
منسى موسى	14-23-24-26-27-31-50-58-61.
منصور الفزاني	64.
مودب محمد الكابري	24-43-52.
مولاي زيدان	75.
الناصر اللقاني	60-62-63.
يحي التادلسي	35-43-52.
يوسف كعت	43-46.

فهرس الأماكن

المكان	**الصفحة**
أروان	10.
إفريقيا	13-24-31-33.
أغاديس	65.
الأندلس	24-52-77.
باماكو	8.
بجاية	34.
بكبر	8.
تافيلات	64.

تاوديني	8.
تغازا	17.
تلمسان	11.
تكدة	65.
تمبكتو	2-3-4-5-7-8-9-10-11-12-13-14-15-16-17-18-19-20-21-22-23-24-25-26-27-29-30-31-32-33-34-35-36-37-38-39-40-41-42-43-44-45-46-47-48-49-50-51-52-53-55-57-58-59-60-61-62-63-64-65-66-67-68-69-70-71-72-73-74-75-76-77-78-79.
توات	17-35-61-63-64.
تونس	17.
الجزائر	13.
جني	33.
الحجاز	24-44-59.
حوض النيجر	7-8-9-13-17-19.
السافانا	9.
سجلماسة	17.
السودان الأوسط	7.
السودان الغربي	7-8-9-16-18-24-26-27-28-30-36-37-39-44-45-46-50-51-52-53-58-59-60-61-64-74-75-77-82.
الشمال الإفريقي	18-19-24-57-77-78-79-80.

الصحراء الكبرى	8-9-10-16-45.
طرابلس	13-34.
فاس	31-34.
فزان	36-64.
الفوتاتورو	7.
الفوتاجالون	7.
غاو	8-14-16-74.
غدامس	65
ليبيا	36-64.
الكانم	7-17.
كرمن	74.
كوندام	8.
مالي	8-13-14-22-26-34-50-51-58.
مراكش	34-52-75.
المشرق الإسلامي	18-52-57-59-62.
مصر	17-23-27-44-58-59-62.
المغرب	13-17-21-23-24-35-44.
المغرب الإسلامي	18-26-52-53-77-79-80.
هجار	17.
ولاتة	8-15-16-17-33-6

فهرس القبائل

القبيلة	الصفحة
الأغلال	.33
البربر	.79-21-13
البمبارا	.18-10
البورنيون	.10
التكرور	.58-37-15
التواتيين	.36-35
السنغاي	-61-50-34-26-24-20-18-15-12
	.79-78-75-70-67
الطوارق	.35-33-18-15-14-13-12-10
صنهاجة	.65-10
الفولانيون	.18-10
الماندينغ	.37-10
مسوفة	.65-10
مغيلة	.63
الولوف	.37

الملاحق

الملحق رقم 1: السوق الكبير في مدينة تمبكتو.[1]

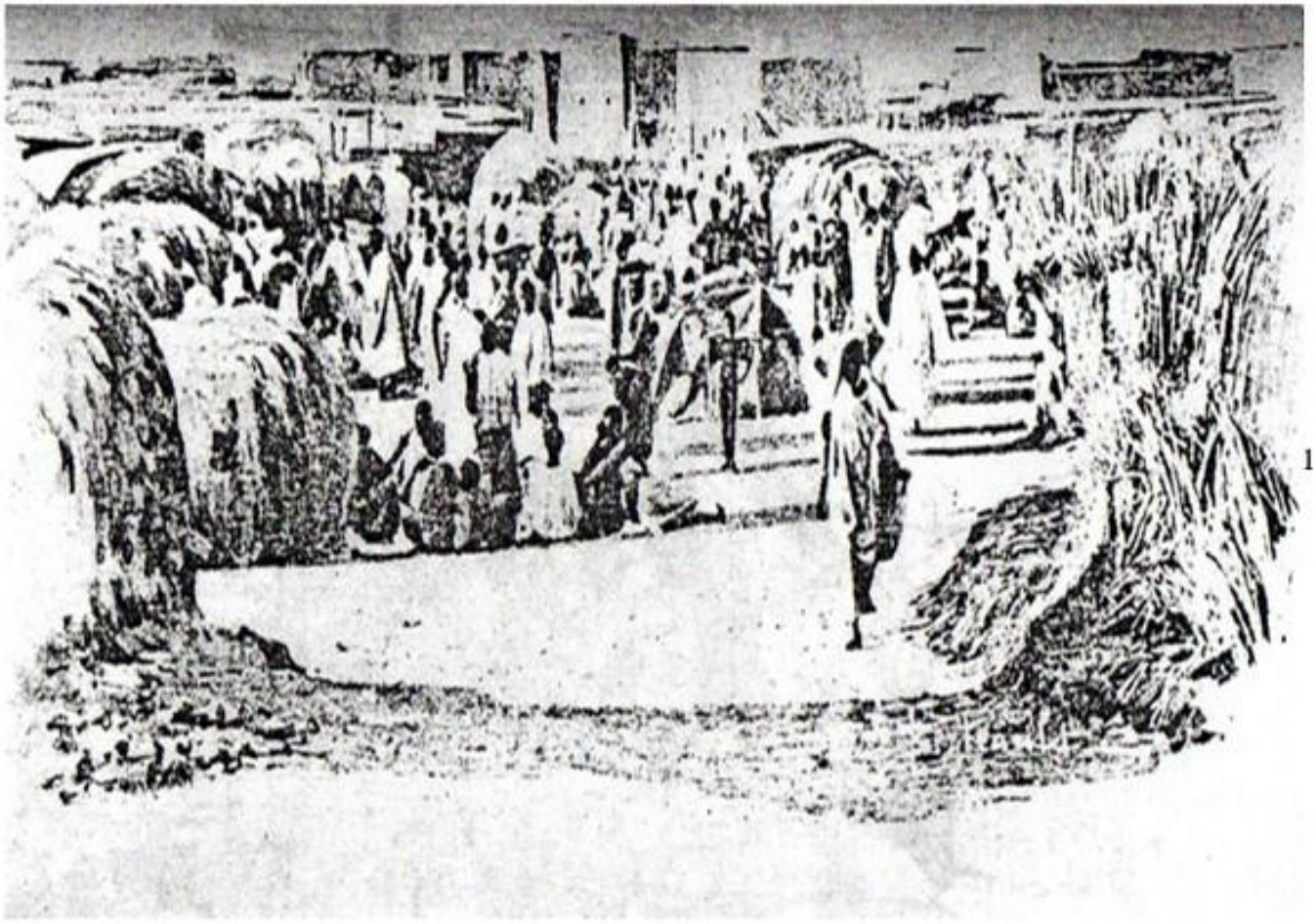

السوق الكبير في تنبكت

[1]– دي بوا: المرجع السابق، ص333.

الملحق رقم 2: أحد المنازل بمدينة تمبكتو.[1]

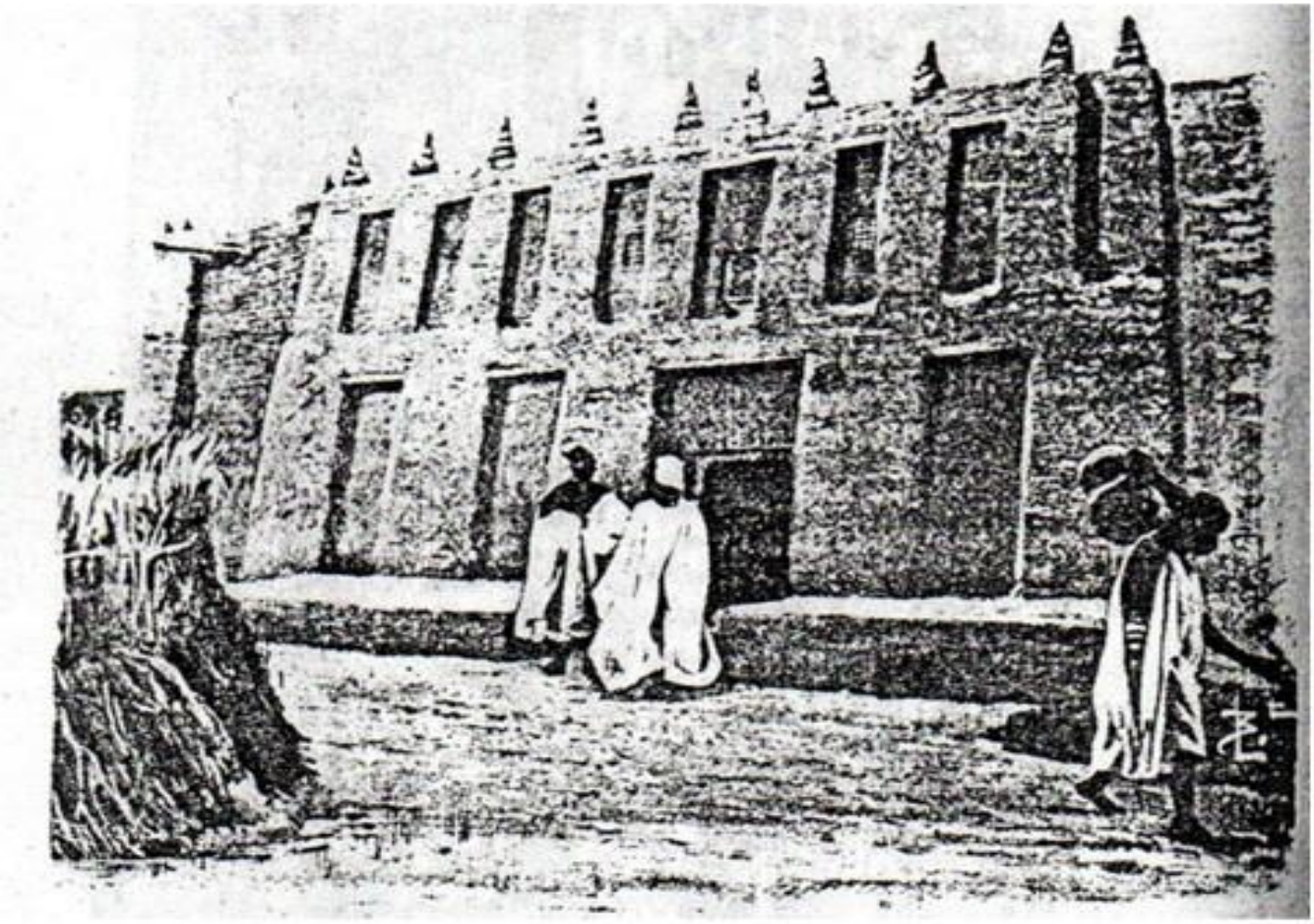

أحد المنازل بتنبكت

[1]– دي بوا: المرجع السابق، ص341.

الملحق رقم 3: مخطط تقريبي لأحياء مدينة تمبكتو.[1]

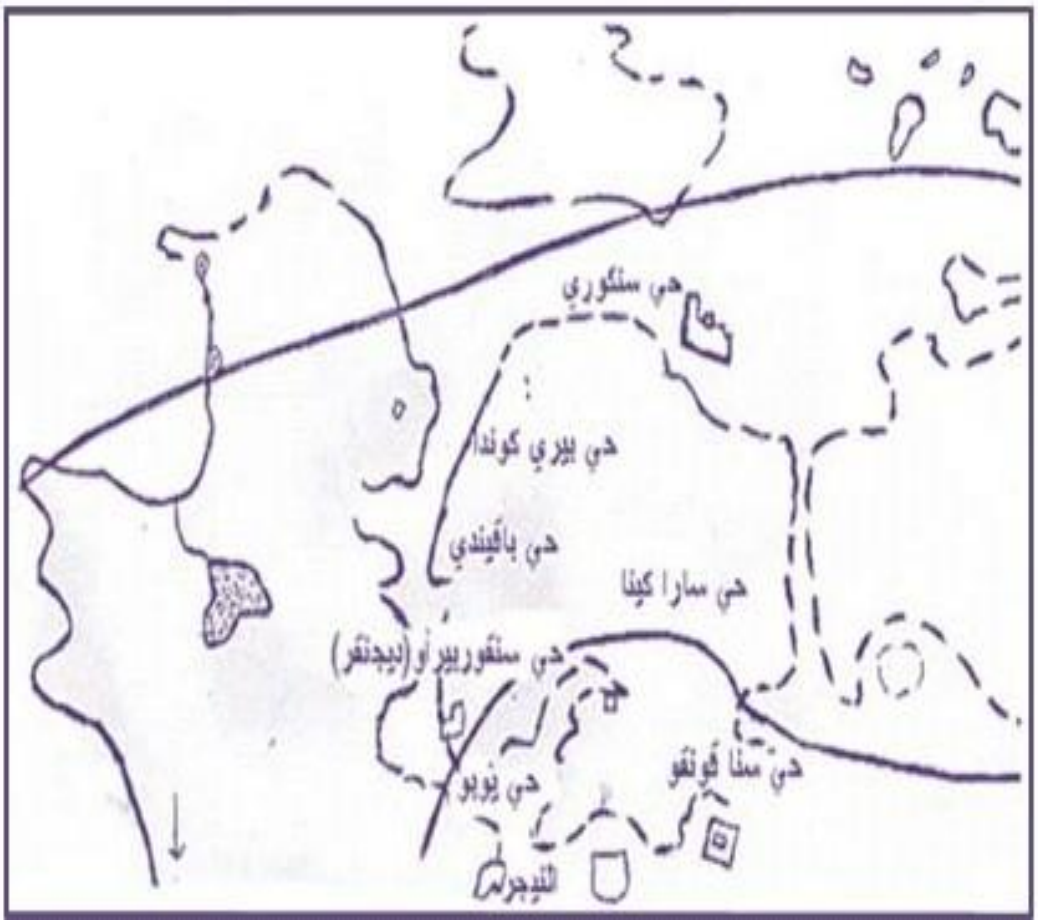

[1]– عبد الحميد جنيدي: مدينة تمبكتو: المرجع السابق، ص113.

الملحق رقم 4: منارة الجامع الكبير بمدينة تمبكتو.[1]

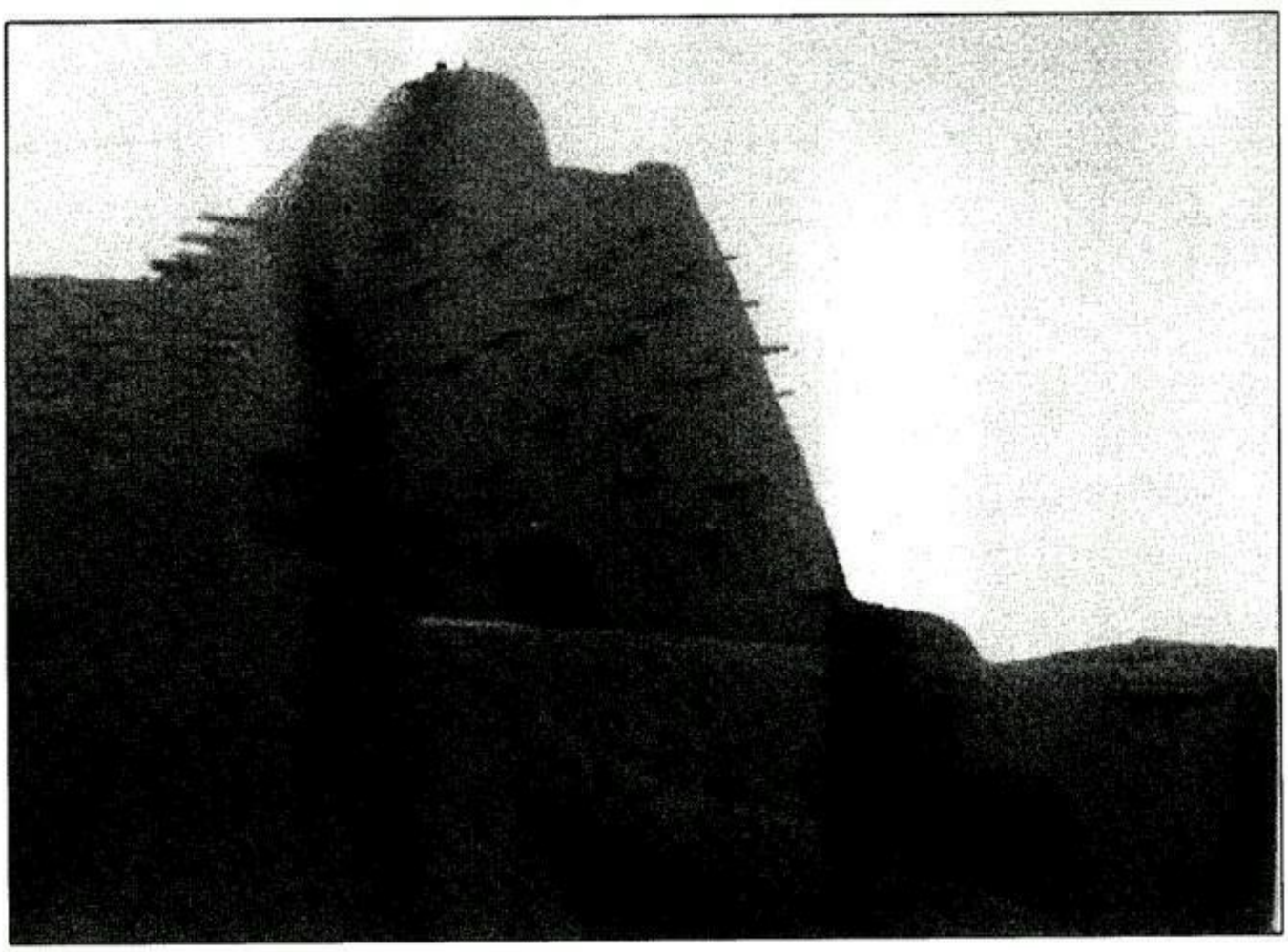

منارة مسجد جنكري بير ــ تنبكت

[1]– سحر عنتر: المرجع السابق، ص317.

الملحق رقم 5: مسجد سنكري بمدينة تمبكتو.[1]

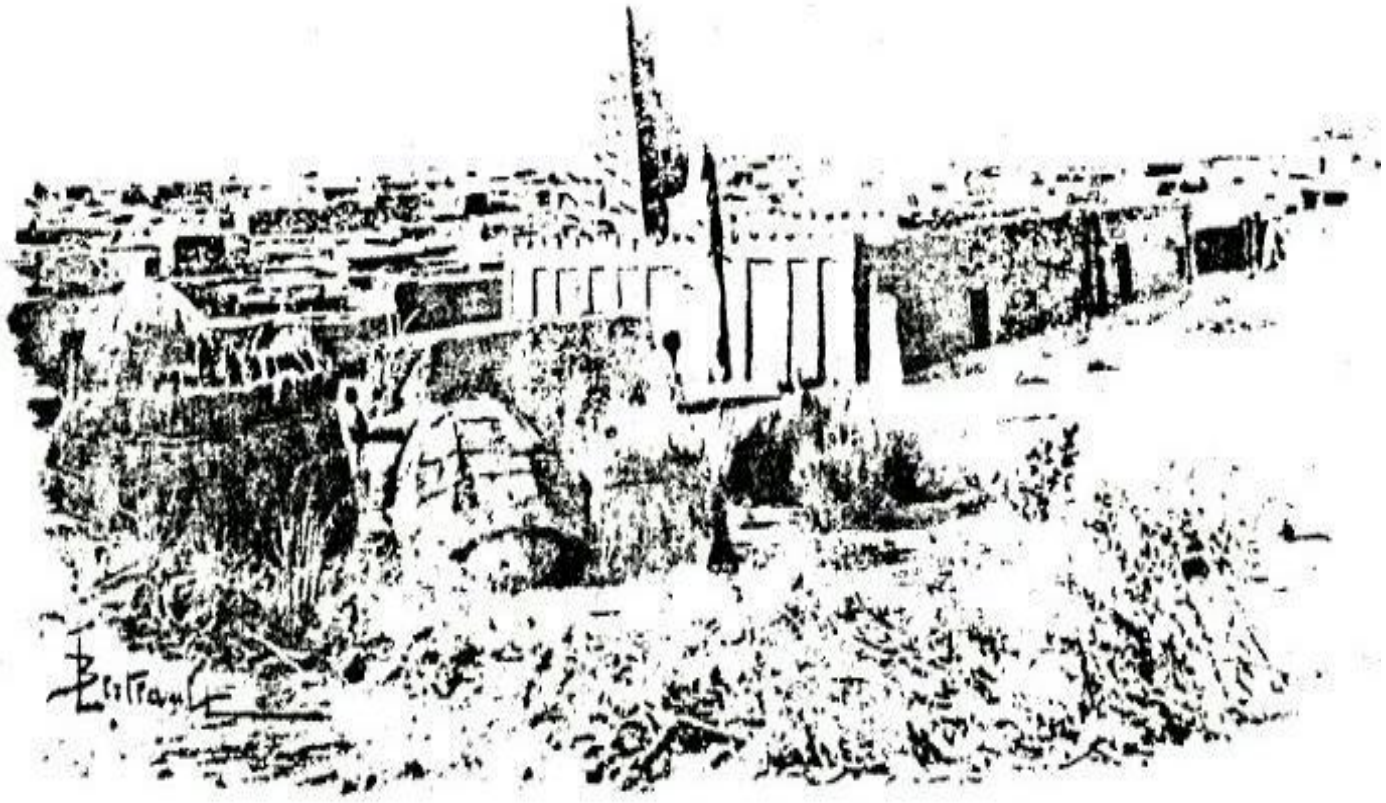

[1]– دي بوا: المرجع السابق، ص344.

الملحق رقم 6: سور مسجد سيدي يحي بمدينة تمبكتو.[1]

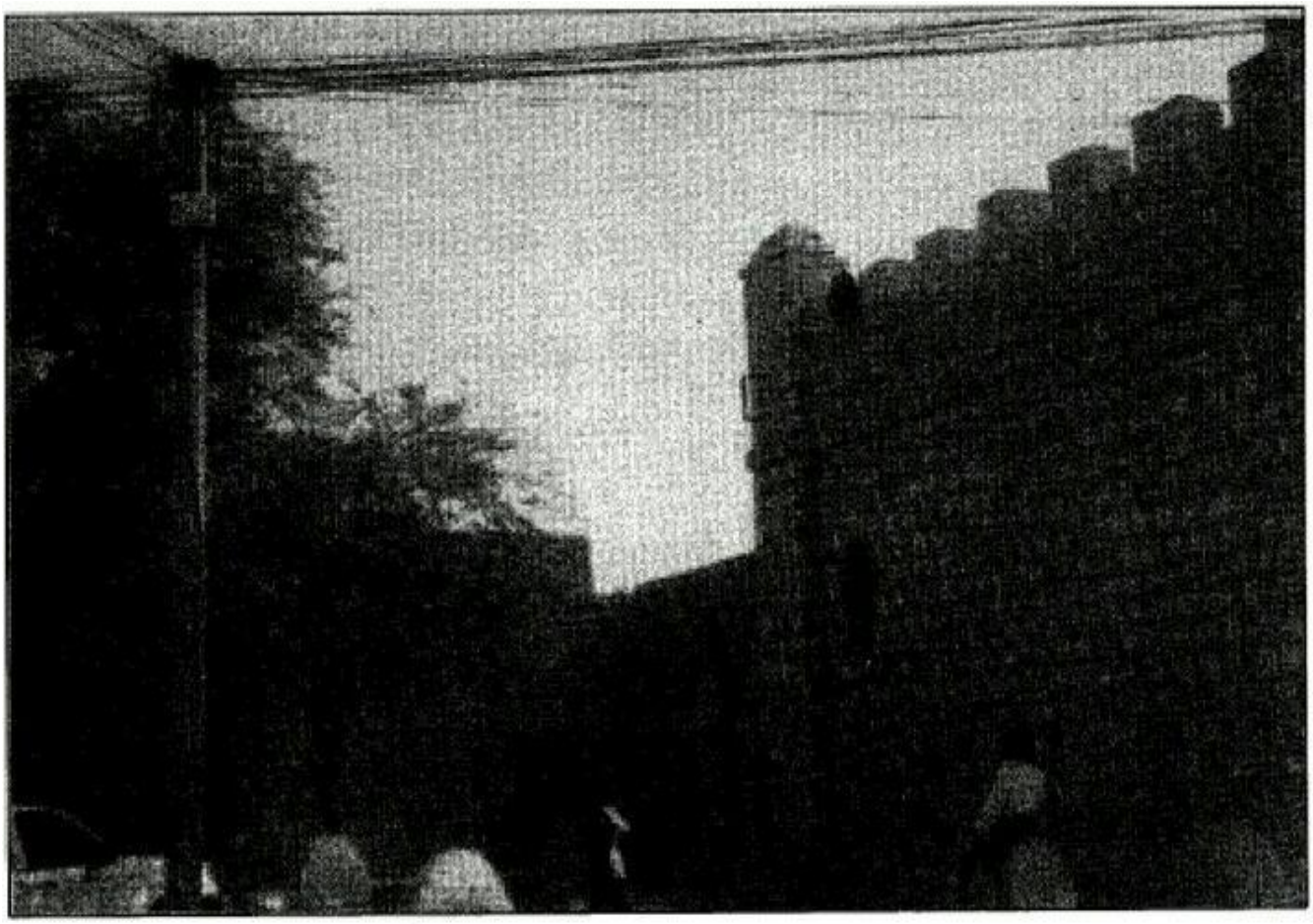

سور مسجد سيدي يحيى

[1]– سحر عنتر: المرجع السابق، ص326.

الملحق رقم 7: رجل الشرطة في مدينة تمبكتو.[1]

[1] – بوا: المرجع السابق، ص351.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

1-الأرواني، أحمد باببر: **السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية**، تح: الهادي مبروك الدالي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، بنغازي، 2001.

2- الأرواني، أحمد باببر: **جواهر الحسان في أخبار السودان**، تح: الهادي مبروك الدالي، سلسلة التاريخ الثقافي المشترك لإفريقيا ما وراء الصحراء وشمالها، د.ط، د.ت.

3- البرتلي، أبي عبد الله الطالب محمد: **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تح: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1981.

4- إبن بطوطة، أبو عبد الله محمد الولاتي: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وغرائب الأسفار**، مطبعة الأزهرية، ج2، ط1، مصر، 1928.

5- التمبكتي، أحمد بابا: **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**، تح: علي عمر، جزءان، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 1423هـ-1964م.

6- التمبكتي، أحمد بابا: **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تح: محمد مطيع، جزءان، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ط، 2000.

7-إبن خلدون، عبد الرحمان بن محمد: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، منشورات دار الكتب اللبناني، ج1، د.ط، بيروت، 1968.

8- السعدي، عبد الرحمان: **تاريخ السودان**، المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية، د.ط، باريس، 1981.

9- العمري، فضل الله: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تح: مصطفى أبو ضيف، مطبعة الدار البيضاء، ط1، المغرب، 1988.

10-المغيلي، محمد بن عبد الكريم: **أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي**، تق: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 1974.

11-كاريخال، مارمول: **إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد زنيبر وآخرون، دار المعرفة، ج3، د.ط، الرباط، 1989.

12- كعت، محمود: **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، هوداس دولافوس، د.ط، 1964.

13-الوزان، الحسن بن محمد: **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب، ج2، ط2، بيروت، 1983.

ثانيا: المراجع:

1-أحمد محمود، حسن: **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، دار الفكر، د.ط، بيروت، 1986.

2- أرنولد، توماس: **الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية**، تر: حسن إبراهيم وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، د.ط، القاهرة، 1971.

3- باري، محمد فاضل علي، سعيد إبراهيم كريدية: **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2007.

4- بازينة، عبد الله سالم: **إنتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء**، دار الكتب الوطنية، ط1، بنغازي، 2010.

5- برايما باري، عثمان: **جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي**، دار الأمير، ط1، القاهرة، 1421هـ-2000م.

6- ج.ت، نياني: **تاريخ إفريقيا العام، سينكي مودي سيسوكو: "إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس "**، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام اليونسكو، مج4، بيروت، 1988.

7- الدالي، الهادي مبروك: **التاريخ الحضاري لإفريقيا ما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، منشورات البحوث والدراسات الإفريقية، ط2، طرابلس، 2001.

8- الدالي، الهادي مبروك: **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا ما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1994.

9- الدالي، الهادي مبروك: **مملكة مالي وعلاقاتها مع المغرب وليبيا**، تح: محمد رزوق، دار الملتقى للطباعة والنشر، ط1، بيروت لبنان، 2001.

10- دياب، أحمد إبراهيم: **لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث**، دار المريخ، د.ط، الرياض، 1970.

11- دي بوا، فيليكس: **تمبكتو العجيبة**، تر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2003.

12- زبادية، عبد القادر: **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، د.ت.

13- زبادية، عبد القادر: **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا جنوب الصحراء**، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، الجزائر، د.ت.

14- زبادية، عبد القادر: **دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين**، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، الجزائر، د.ت.

15- قداح، نعيم: **حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، د.ت.

16- قداح، نعيم: **إفريقيا الغربية في ظل الإسلام**، مر: عمر الحكيم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ط، نيويورك، د.ت.

17- الفيتوري، عطية مخزوم: **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء لمرحلة إنتشار الإسلام**، دار الكتب الوطنية، ط1، بنغازي، 1998.

18- العربي إسماعيل: **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1983.

19- علي محمد، عبد اللطيف: **تمبكتو أسطورة التاريخ**، دار الكتب الوطنية، ط1، بنغازي، 2001.

20- عنتر محمد أحمد مرجان، سحر: **فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وسنغاي (628-1000هـ/1230-1591م)**، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 1432هـ-2011م.

21- أبو عيانة، فتحي محمد: **جغرافية إفريقيا دراسة إقليمية للقارة مع التطبيق على دول جنوب الصحراء**، دار النهضة العربية، د.ط، بيروت، 1982.

22- الغربي، محمد: **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، ج2، د.ط، الكويت، 1982.

23-مطير، سعد غيث: **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين10-11هـ/16-17م**، دار المدار الإسلامي، د.ط، مصر، د.ت.

24- مقدم، مبروك: **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن 9هـ-15م**، دار الغرب للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 2004.

25- مهدي رزق الله، أحمد: **حركة التجارة والإسلام والتعليم في غرب إفريقيا**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، الرياض، 1998.

26- ميڤا، أبو بكر إسماعيل: **الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من 400هـ إلى 1100هـ**، مكتبة التوبة، ط1، الرياض السعودية، 1997.

27- ميڤا، عبد الرحمان محمد: **الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن 8هـ إلى القرن 13هـ**، منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية، د.ط، المملكة المغربية، 2011.

28- وناس، زمان عبيد: **تمبكتو وأثرها الحضاري في العصور الوسطى الإسلامية المتأخرة**، دار الأيام، د.ط، د.ت.

ثالثا: المجلات والدوريات:

1-بدري، محمد فهد: "أثر الإسلام في إنتشار اللغة العربية في إفريقيا"، **حوليات الجامعة الإسلامية**، ع4، النيجر، 1998.

2- بن الشيخ الحسين، رياض: "أثر الثقافة العربية الإسلامية في إكتساب العربية وآدابها في السودان الغربي"، **مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية**، مج33، ع1، قسنطينة الجزائر، 2019.

3- جعفري، أحمد: "المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي وتأثره بفقهاء بلاد المغرب قراءة في المصادر العربية والإفريقية ما بين القرنين(8-11هـ-14-17م)"، **مجلة آفاق علمية**، مج 13، ع1، 2020.

4-جنيدي، عبد الحميد: "مدينة تنبكت نشأة المدينة وتطورها"، **دورية كان التاريخية**،ع16، يونيو 2012.

5-جنيدي، عبد الحميد: "الأوضاع الإقتصادية في تمبكتو في القرن 10هـ-16م"، **مجلة أنسنة للبحوث والدراسات**،ع4، ماي 2012.

6- جنيدي، عبد الحميد: "الحياة الثقافية في مدينة تنبكت (تمبكتو) في القرن 10هـ-16م"، **مجلة دراسات وأبحاث**، مج4، ع 6، الجزائر.

7- حوتية، محمد: " حواضر نهر النيجر تمبكتو-جني-غاو"، **مجلة الحقيقة**، مج 9، ع 1، جامعة أدرار.

8- زبادية، عبد القادر: "حركة التعليم في تمبكتو في بلاد التكرور خلال القرن 16 ودور الأوقاف في إزدهارها"، **دعوة الحق**، ع 230، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، اوت 1993.

9- عطية، عبد الكامل: "مظاهر إنتشار الثقافة العربية الإسلامية في حواضر السودان الغربي خلال القرنين 15-17م"، **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية**، مج4، ع11، جامعة حمة لخضر، الوادي الجزائر، 2016.

10- عيسى، عبد الله: "أثر الإسلام على المجتمع الإفريقي خلال القرن 10هـ-16م مملكة سنغاي نموذجا"، **مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع** 36، حزيران 2015.

11-عيسى، عبد الله: "الحج في عهد مملكة مالي"، **مجلة البحوث التاريخية**،ع2، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، جوان 2017.

12- عيسى، عبد الله: "الإسلام كمرجعية لمملكة سنغاي في غرب إفريقيا خلال القرن 10هـ-16م"، **المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل**، مج21، ع1، 2020.

13- مطير، سعد غيث: "تنبكت نشأتها وأهم مراكز العبادة بها حتى منتصف القرن 11هـ_17م"، **مجلة جامعة الزيتونة**،ع 3، كلية الآداب والتربية، ليبيا، 2013.

14- مطير، سعد غيث: "آل بغيغ الونكريين ودورهم الثقافي في السودان الغربي خلال القرنين 10-11هـ/16-17م"، **مجلة جامعة الزيتونة**، ع11، ليبيا، 2011.

15- مقاديم، عبد الحميد، نعيمة عبد الحميد: "رحلات حج سلاطين السودان الغربي وأثرها الحضاري رحلتي السلطان منسى موسى والأسكيا محمد الكبير نموذجا"، **المجلة الجزائرية للمخطوطات**، مج13، ع1، جامعة أحمد بن بلة، وهران، جوان 2018.

16-منادي، عثمان: "مظاهر الحياة العلمية في حواضر غرب إفريقيا"، **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية**، مج6، ع11، جامعة سوق أهراس.

17-ميڤا، أبو بكر إسماعيل: "تاريخ الثقافة العربية الإسلامية والتعليم في السودان الغربي (إفريقيا الغربية من القرن 4هـ إلى غاية القرن 13هـ) "، **مجلة الدارة**، ع 3، 1993.

18- ميڤا، محمد حمد كنان: "مظاهر الثقافة العربية الإسلامية في تمبكتو وغاو وجني في عهد الأساكي"، **مجلة قراءات إفريقية**، ع3، ديسمبر 2008.

رابعا: الرسائل الجامعية:

1-ألفا جالو، محمد: **الحياة العلمية في دولة سنغاي خلال الفترة 842-1000هـ/1464-1591م**، (رسالة ماجستير)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1413هـ-1993م.

2- بوداوية، مبخوث: **العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان**، (أطروحة دكتوراه)، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1426هـ-1427هـ/2005م-2006م.

3- فتوح أحمد عابدين، أحمد: **الحواضر الإسلامية في غرب إفريقيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر تاريخها السياسي والحضاري والإقتصادي**، (رسالة ماجستير)، قسم التاريخ معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1989.

4- مقاديم، عبد الحميد: **المدارس العلمية ودورها السياسي والثقافي في السودان الغربي مالي وسنغاي ق7-10هـ/13-16م**، (أطروحة دكتوراه)، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2017-2018.

5- مولاي، محمد: **القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي من أواخر القرن9هـ-12هـ (15-18م)**، (أطروحة دكتوراه)، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2018-2019.

خامسا: المراجع الأجنبية:

1-A.Zouber Mahmoud: **Ahmad Baba de Tembouctou (1556-1627) et son œuvre.** Ed.Maisonneuve et Larose, Paris, 1976.

2-Martypaul: **Etudes sur l'Islam et les tribus du Soudan.** Ed. Ernest Leroux**,** Paris, T. 2, 1921.

فهـــرس
المحـــتويات

الفهرس **الصفحة**

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة:.....**01**

الفصل الأول: الأوضاع العامة في حاضرة تمبكتو خلال القرن 10هـ-16م.....**05**

المبحث الأول: موقع مدينة تمبكتو وأصل التسمية.....**06**

المبحث الثاني: نشأة مدينة تمبكتو ومراحل تطورها.....**11**

المبحث الثالث: مظاهر إنتشار الإسلام في حاضرة تمبكتو.....**21**

الفصل الثاني: المؤسسات الثقافية والعلمية في حاضرة تمبكتو.....**28**

المبحث الأول: مساجد تمبكتو.....**28**

المبحث الثاني: المدارس والكتاتيب.....**34**

المبحث الثالث: العلوم النقلية والعلوم العقلية.....**44**

الفصل الثالث: صور التلاقح الحضاري بين حاضرة تمبكتو والدول العربية الإسلامية.....**55**

المبحث الأول: رحلات الحج والرحلات العلمية **56**

المبحث الثاني: القضاء والقضاة في مدينة تمبكتو.....**64**

المبحث الثالث: أثر الثقافة العربية الإسلامية على الجوانب الحضارية في مدينة تمبكتو.....**73**

خاتمة:.....**81**

الفهارس:.....**84**

الملاحق:.....**92**

قائمة المصادر والمراجع:.....**100**

فهرس المحتويات:.....**107**

الملخص:

الملخص:

توضح هذه الدراسة الدور الثقافي الذي أدته حاضرة تمبكتو في بلاد السودان الغربي، والتي حملت عنوان **الحياة الثقافية في حاضرة تمبكتو خلال القرن 10هـ-16م**. نتعرف من خلالها على مدينة تمبكتو من حيث الموقع وأصل التسمية والنشأة ومراحل تطورها. كما نبين أهم مظاهر انتشار الإسلام في هذه المنطقة من بلاد السودان في جنوب الصحراء من خلال انتشار المذهب المالكي واللغة العربية. ورصد أهم المساجد والمدارس والكتاتيب والمكتبات التي ضمت العديد من المخطوطات والكتب النفيسة، دون أن نغفل على أهم العلوم التي تدرس في هذه المؤسسات العلمية والثقافية. إضافة إلى ذكر رحلات الحج والرحلات العلمية التي قام بها ملوك وعلماء حاضرة تمبكتو، كذلك ذكر العلماء المرتحلون والوافدون إلى هذه الحاضرة. كما توضح هذه الدراسة أهمية القضاء وأبرز قضاة ومؤرخي تمبكتو، مع التطرق إلى آثار الثقافة العربية الإسلامية على هذه الحاضرة الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء.

الكلمات المفتاحية: الحياة الثقافية، حاضرة تمبكتو، الثقافة العربية الإسلامية، بلاد السودان.